مكتبة المغامرات

١٥

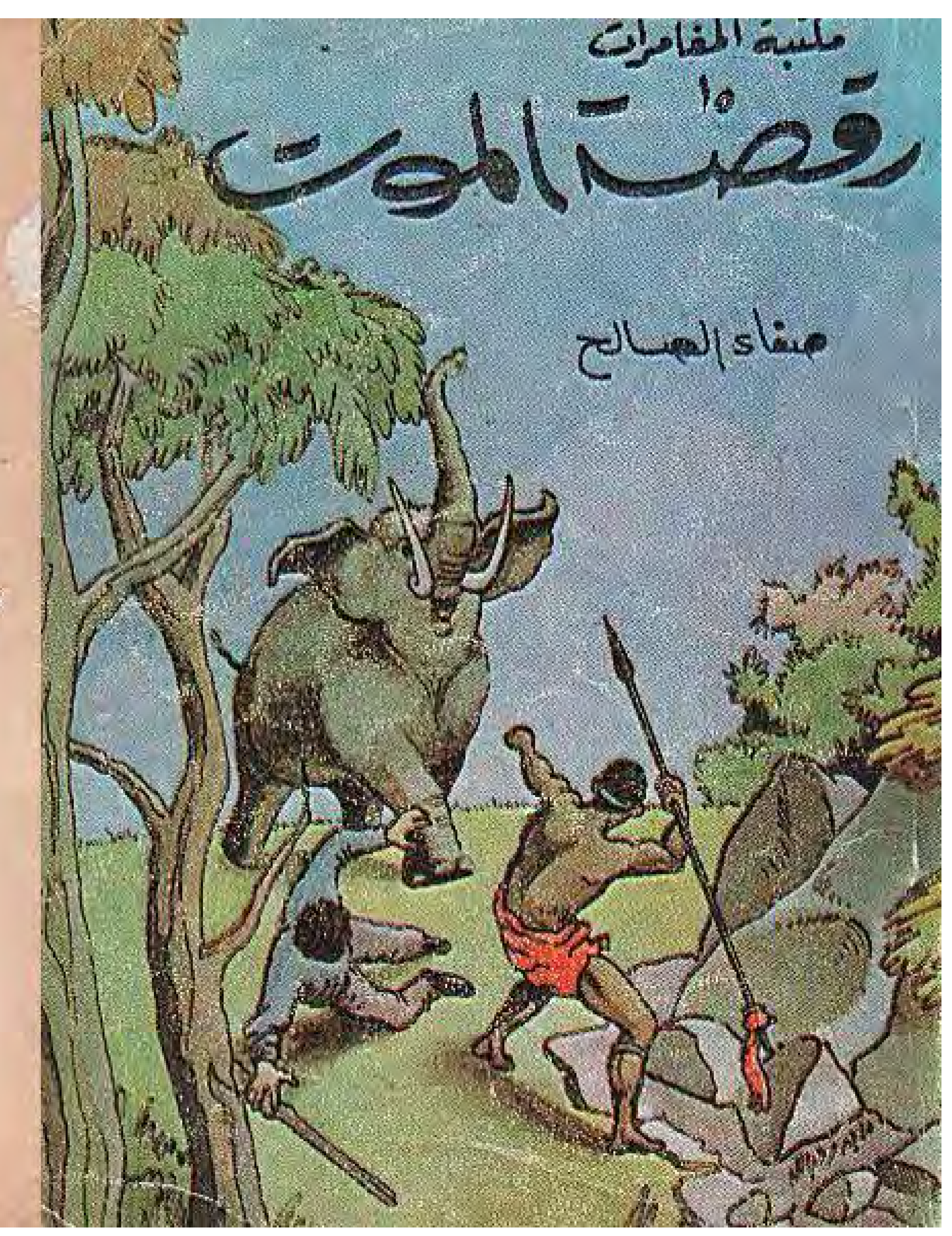
رقصة الموت

صفاء الصالح

عن قصة

KING SOLOMONS MINES
H. RIDER HAGGARD

مطبعة منير



الغلاف : ماجد وعدالله

اللقـــاء

لقد مضى أكثر من ثمانية عشر شهراً على لقائي الاول مع هنري كيرتس ،وصديقه الكابتن جود · هذا اللقاء الذي كان فاتحة لحكاية طويلة مشوقة ،ملؤها المغامرات والاسرار ·· والمواقف الصعبة ،سأقصها عليكم في هذه الصفحات ·

كنت في رحلة لصيد الفيلة قرب مدينة «باما نجواتو» · وواجهني فأل سيء في تلك الرحلة ·· أذ سار كل شيء عكس ماأشتهيت ·· ووقعت تحت وطأة المرض · مما أضطرني لقضاء أسبوع في مدينة «كابة» ،حتى تتحسن صحتي ·

قررت العودة الى بيتي في «دوربان» ، على متن السفينة «دونكيلد» . كنت أجلس على السطح مستمتعاً بمنظر البحر اللامتناهي، وجلاله المهيب . وقد جلس الى جانبي اثنان من الركاب .. كان اولهما سيد في العقد الثالث من العمر ،ضخم ،قوي البنيان .. ذا وجه مألوف ، يوحي لي بأني قد رأيته أكثر من مرة ،بشعره الاصفر ولحيته الكثة، وعينيه الرماديتين الواسعتين .. الساكنتين مثل سكون البحر في تلك الليلة. كان ذا أناقة مفرطة ، عرفت فيما بعد ان أسمه السير هنري كيرتس . ولشد ما ظل وجهه يذكرني برجل ما ،ولكني عجزت عن تذكره . أما الرجل الآخر الذي يجلس الى جانبه ،فقد كان رجلاً نحيفاً ، وطويلاً ،يرتدي ملابسه بأناقة واضحة، ويحلق وجهه بعناية شديدة . خمنت في البداية انه أحد الضباط البحريين من طاقم السفينة . وقد صدق ظني .. فالكابتن جود هو ضابط بحري سابق ،وان لم يكن من ملاحي السفينة . كان يرتدي عدسة مكبرة على أحدى عينيه ، دون سلسلة او خيط يثبتها . ولم أشاهده ينتزعها من مكانها عدا تلك المرات القليلة التي ينظفها بها ،فبدت كأنها مزروعة حول

عينه ،لاتفارقها سوى ساعات النوم حيث يحتفظ بها مع طقم أسنانه الصناعي في جيب سرواله .

هبط المساء بعتمته الثقيلة ،حاملاً معه طقساً سيئاً ،وهبت علينا ريح قوية من البر ، فأبتعدت «دونكيلد» مترنحة بتثاقل ،تشق تكاثف العتمة .. صوب لجة هذا البحر الغامض . تاركة الميناء مجرد بقعة ضوء شحيح وسط حصار الظلام . . .

جلس السير هنري والكابتن جود الى مائدة العشاء .. واتخذت لنفسي مقعداً مقابلاً لهما . واقتضت قواعد اللياقة ان نتحدث فتحدثنا طويلاً حول الرماية ، ثم انتقلنا الى صيد الفيلة. فأنبرى احد الجالسين ـ ويبدو انه كان على معرفة جيدة بي ـ الى القول :

ـ «آه ، ايها السيد ، انك تتحدث الى رجل خبير في هذا المجال ،انه الصياد كواتيرماين ، وسيحدثك عن صيد الفيلة افضل من اي شخص آخر»

تقدم السير هنري نحوي عند سماع تلك الكلمات ، اتكأ على المنضدة ثم قال بصوت خفيض عميق ، يتناسب تماماً مع صدره الضخم .

ـ «عفواً ايها السيد .. هل صحيح ماسمعت .. ان أسمك كواتيرماين ، وتصيد الفيلة ايضاً !» .

اشرت بالايجاب ، ولم يضف السير هنري شيئاً .. ولكنه طلب مني بعد العشاء .. مصاحبته مع الكابتن جود للتدخين . فوافقت .

«سيد كوايترمان» قال السير هنري بينما أنشغل جود في اشعال الفانوس .. فتوضحت زجاجة الشراب التي تزين المائدة ..

ـ «قبل عامين كنت في مكان يدعى «باما نجواتو» اليس كذلك ؟» .

اجبته والدهشة تعلو وجهي :



- «نعم كنت !» .
- «هل قابلت هناك رجلاً يدعى نيفيل ؟».
- «أوه .. نعم لقد وصلتني رسالة من محام ،منذ شهور مضت يسأل فيها عنه ، وقد أرسلت له الرد في ذلك الوقت» .
- «نعم» قال السير هنري «لقد وصلتني رسالتك ،التي أشرت فيها بأن نيفيل قد غادر «باما نجواتو» مع خادم من قبائل الزولو يدعى جيم» .
- «نعم» ..

سادت المكان فترة صمت ! واصل بعدها السير هنري حديثه .

- «نيفيل هذا كان أخي !» .

حين ذاك تذكرت بمن كان وجه السير هنري يذكرني .. اهتزت السفينة بقوة .. ولم يبد على السير هنري ملاحظة ذلك .. بل كان مستغرقاً في ذكرياته .

- «كان أخي الاصغر ،ومنذ خمس سنوات ، تشاجرنا وتو والدنا في نفس الوقت .. فآلت جميع ثروته اليّ بالطبع ،

وكان يجب ان اعين أخي ، لكني لم افعل ذلك بسبب خلافنا» .
- « كان يملك مالاً قليلاً ،رحل به الى جنوب أفريقيا حالماً بالاثراء ،واستعار هناك اسماً جديداً هو «نيفيل» . مرت ثلاث سنوات ،وأخذ قلقي يتزايد حوله .. وأخيراً قررت ان أعد حقائبي وأخرج للبحث عنه بنفسي ، وكان صديقي الكابتن جود مخلصاً حين قرر مرافقتي» .
- «ذلك واجبي ،وانت تعلم بأنني قد اشتقت كثيراً لعملي السابق كربان سفينة ، دعك من هذا الآن ،وليحدثنا كواتيرماين عن أخبار نيفيل التي يعرفها» .

2

قصـــة الكنـــز

قلت :

- «سمعت بأنه ذهب للبحث عن كنوز الملك سليمان !» ·
- «كنوز الملـك سليمـان ؟!!» صرخ هنري بـدهشـة «ومـا هي تلك الكنوز ؟» ·
- «سـأحكي لكـما مـاأعرفه ، ولكن يجب ان تعـداني اولاً بـأن لاتكلـما أي شخص ـ ايـاً كان ـ عليهـا ،هـل تـوافقـون على ذلك ؟» ·
- بالتأكيد ·· بالتأكيد» رددا بصوت واحد ·

- «طيب» وبدأت الحديث «كنت مرة في مكان منعزل يدعى كرال «ستـانـدا» ،ووصـل الى هنـاك رجـل برتغـالي مع خادمة · كان رجلاً لطيفاً ومهـذباً ·· طويل القـامـة ،ذا عينين داكنتين واسعتين · اخبرني بـأن اسمــه خــوزيــه سلفيسترا · وحين غادر في اليوم التالي قال لي :
- «وداعاً ايها السيد ، اذا قدر لنا ان نلتقي ثانيـة ، فسأكون أغنى رجـل في العـالم !» · ضحكت مستغربـاً ، وتـابعت مسيرتـه في الصحراء ·· حيث اتجـه نحـو الغرب ·· حتى غاب عن الابصـار · وفي احـدى الليـالي ·· وبينـما كنت أجلس مستمتعـاً بمنظر الغروب ، ومتـابعــة قرص الشمس الحمراء وهي تغطس في آمـاد الصحراء اللامتنـاهيـة · رأيت شبح رجل يتقدم نحوي على بعد ثلاثمائة متر ،كان يتحرك ببطء شديد ،زاحفاً على يديه وركبتيـه · ثم نهض متثـاقلاً ،وسـار على قـدميـه لامتـار قليلة ،كبـا بعدهـا ثـانيـة ·· ركضت لنجدته ··» ·
- «كان خوزيه سيلفسترا بالطبع !» قال جود ·
- «نعم ،وكان وجهـه شـاحبـاً كـوجـوه المـوتى ،وقـد جحظت عينـاه الـواسعتـان الـداكنتـان في مقـدمـة رأســه · وهـزل



كان يتحرك ببطء شديد ، زاحفاً على يديه وركبتيه ·

جسده فبرزت عظامه من تحت جلده المتيبس» ·

ـ «ماء ·· ماء !» · صرخ بصوت واهن ، وقد جفت شفتاه وأسود لسانه، اعطيته الماء بعد ان مزجته بالحليب ·· شربه ·· وسقط في اغماءة ، أخذ بعدها بالهذيان حول جبال سليمان ·· والجواهر ·· الصحراء ·

وحين صحا مد يده الواهنة تحت قميصه ،وأخرج خرقة من قماش كالح ·· عليها كتابة حمراء ، بهت لونها · وتمتم بكلمات ميزتها بصعوبة · «اسمع ،هذه الكلمات ،كتبها جدي قبل كلاثمائة عام ،كان أسمه خوزيه دا سلفيسترا ،وقد وجده خادمه ميتاً في تلك الجبال الموحشة ، جلب لنا تلك الخرقة وهي أخر مخلفاته ، وتوارثناها في العائلة منذ ذلك الوقت ·

«لقد اضعت حياتي بسببها ، وضاعت الفرصة من يدي ، ولكن قد يأتي رجل آخر ينجح فيا فشلت به ، ويصبح اغنى

رجل في العالم. خذها ،ولا تعطها لأي شخص في العالم ،بل أذهب بنفسك ··» ·

ومات الرجل في صباح اليوم التالي ·

قال السير هنري وكله آذان صاغية لسماع تتة القصة ·

- « ماذا تعني تلك الخرقة ؟ » ·

- «طيب ياسادتي ، انا احمل تلك الخرقة - الرسالة معي ، ونسخة من الخريطة ايضاً ·· وهذه هي امامكم ···» ·

[(انا خوزيه دا سيلفسترا ، انني اموت من الجوع والعطش ، في أحد الكهوف الجبلية ،حيث لاثلج فيها ، انه في أحد الجبلين اللذين يظهران على شكل نهدي امرأة ، لقد سميتها نهدي شيبا ، وبدقة فأن الكهف يقع في الجانب الشمالي من الجبل الجنوبي ·

اني اخط هذه السطور في عام 1590 ، بقطعة من عظم على خرقة من ملابسي ، والمداد هو دمي ·

بعينيّ شاهدت جواهر لاتحصى ، ولاتوصف في غرفةٌ كنوز الملك سليمان · قرب مكان الموت ·· لكن المرأة العجوز جاجول، خدعتني ، وغدرت بي ، وها

اننا اهرب دون اي شيء ،ولا حتى النجاة بحياتي · انت يامن ستأتي بعدي ··

اتبع الخريطة ، وتسلق ثلج نهد شيبا الايسر ، وفي الجهة الشمالية ، ثمة ممر كبير للملك سليمان · ومن هناك رحلة ثلاثة ايام حتى قصر الملك سليمان ··

اقتل جاجول ··

خوزيه دا سيلفسترا ·]

- «عجيب» قال الكابتن جود «لقد درت حول العالم مرتين ،وزرت معظم الاماكن والبلدان ·· لكنني لم أسمع ابداً أغرب من حكايتك تلك ··» ·

- واصلت حديثي «ولكن ·· لنعد الى أخيك ·· ياسير هنري لقد عرفت الخادم الزولوي الذي كان برفقته ·· كان أسمه جيم وسألته الى اين تقصدان في رحلتكما·· هل هي لصيد الفيلة ؟ »

فأجابني ضاحكاً ··

- « بل لصيد الجواهر ·· هل سمعت ابداً بالجواهر التي في جبال الملك سليمان ؟ » ·

أخذت ورقة وكتبت :

- «تسلق ثلج جبل شيبا الايسر ، وأصعد الى السفح الشمالي حيث ستجد طريق الملك سليمان ··» وقلت له،
- خذ تلك الورقة ،وأعطها لسيدك ·· عسى ان تفيده في رحلته !» ·

أخذ جيم الورقة ورحل ، وهذا كل ماأعرفه عن أخيك ·· ياسيد هنري » ·

- «سيد كواتيرماين ، سأذهب للبحث عن أخي ، وسأتبعه حتى جبال الملك سليمان ، اتمنى ان ترافقني ، ولك ان تحدد المبلغ الذي تطلبه ، وسادفع لك قبل بدء الرحلة · واذا حدث ووصلنا الى ذلك المكان ووجدنا الجواهر ، فانها ستعود لكما انت والكابتن جود ·· فأنا لا أطمع في شيء منها» ·
- قلت «انه أفضل عرض قدم لي في حياتي ، ولكنه في نفس الوقت أكبر عمل سأقوم به ، دعني افكر في المشروع» تمنيت لها ليلة سعيدة ، وذهبت الى فراشي ، حيث حلمت بالمسكين سيلفسترا ·· وبالذهب والجواهر ·

• • •

3

أمبوبا

حين رست سفينتنا في «دوربان» ، كان الليل قد أرخى سدوله ، وبزغ القمر وقد أكتمل بدراً ، يزين صفحة السماء الساكنة ، ويرمي فوق الاشياء غطاءاً شفافاً بلون الفضة ·

كان الوقت متأخراً للنزول الى الميناء ·· فجلسنا قرب عجلة القيادة وهدوء محبب يغلف جلستنا ، كسرته بقراري :

- «ايها السادة ·· قررت الذهاب معكم ، لقد أحببتكم ، وذلك هو الشيء الاهم في رحلة طويلة ·· لاأدري ان كنا سنعود منها أحياء ،اذا ما حاولنا عبور جبال الملك سليمان» ·

ساورني الشك بأن شعوراً خفيفاً بعدم الارتياح علا وجه

الكابتن جود ، اما السير هنري فقد خلا وجهه من اي تعبير وقال :

- « سيد كواتيرماين .. انا سأذهب في تلك الرحلة حتى النهاية، سواءً كنت مصيباً او مخطئاً» .

في اليوم التالي دعوتهما للمبيت في بيتي المتواضع ،حيث ناما في خيمة بين اشجار البرتقال وسط الحديقة وأشترينا عربة جميلة لحمل امتعتنا ،فضلاً على مجموعة من الثيران لسحبها تضم عشرين ثوراً من العروق الزولوية التي تمتاز بصغر حجمها وخفتها ، وقدرتها على العيش في اصعب الظروف ، كما اشترينا مجموعة من البنادق وكمية لابأس بها من العتاد .

قررنا اختيار مالا يقل عن خمسة من الرجال الاشداء لمرافقتنا، وجدت اثنين من الزولويين ، احدهما يدعى جوزا وقد تطوع ليكون دليلنا ،والآخر توم .. وقد عمل سائقاً للعربة . لم يكن الحصول على بقية الرجال سهلاً فأخترنا رجلين احدهما غير مجرب يدعى فينتفوجيل ، والثاني رجل زولوي صغير يدعى كهيفا ،

ويتقن الانجليزية ولم نستطع ايجاد رجل ثالث يلائمنا حتى المساء الذي سبق رحيلنا ،حيث جاء أحدهم لرؤيتي .. كان رجلاً طويلاً ،حسن المنظر وفي العقد الثالث من العمر ،ذا لون افتح قليلاً من لون قبائل الزولو قلت له :

- « ماأسمك ؟ »

اجابني بصوت عميق ومؤثر :

- « امبوبا »
- « وما الذي تريده ؟ ».
- «لقد سمعت بأنك ستذهب في رحلة طويلة الى الشمال مع هؤلاء السادة من وراء البحار ،هل ذلك صحيح ؟» .
- « أجل »
- « اود مرافقتكم ! »
- « ولكن من انت .. ومن اين اتيت ؟ ! »
- « قلت لك ان أسمي امبوبا ، وانا من قبائل الزولو ، تسكن قبيلتي بعيداً في الشمال ، حيث ستذهبون . لقد سافرت لسنوات طويلة ،وعملت هنا في «ناتال» ،



كلانا رجل ، أنت وأنا

وهاأنذا احاول العودة الى الشمال .. هنا ليس مكاني .. وانا واثق من قدرتي على مساعدتكم .. ولا أريد مقابل ذلك مالاً !!» .

أحترت في امر هذا الرجل .. يبدو عليه انه ليس زولوي عادي وبدأت أشك في مبررات عرضه للعمل بلا مقابل .

ترجمت كلماته للسير هنري و جود ، قال السير هنري :

ـ « قل له أن يقف ! »

وقف امبوبا .. كان منظره مهيباً ، بطوله الفارع .. وجسده الضخم .. تقدم السير هنري نحوه ، وقف الى جانبه متفحصاً وجهه الودود .

ـ « لقد اعجبت بهيئتك ياسيد امبوبا ،لذا سترافقنا في الرحلة » . قال السير هنري ذلك باللغة الانكليزية ، وبدا ان امبوبا قد فهمه ، فأجاب بلغة الزولو .

ـ «هذا جيد» ثم نظر الى السير هنري ، كان يضاهيه بالضخامة والطول .. وأضاف

ـ « كلانا رجل .. انت وانا ! » .

● ● ●

4

صيـــد الفيلـة

تبعد «كرال سيتاندا» أكثر من خمسة عشر كيلو متراً عن «دوربان» تقطع الاربعمائة والخمسين متراً الاخيرة مشياً على الاقدام حيث تعجز العربات عن اجتيازها لوعورة الارض ،وعضات ذباب «التسي تسي» المميتة لجميع الحيوانات تقريباً عدا الانسان · تركنا «دوربان» في نهاية شهر كانون الثاني ، وخيمنا في الاسبوع الثاني ،من شهر ايار بالقرب من «كرال سيتاندا» في منطقة تلاقي نهري لاكانجا وكالوكاوي · وفي «أنياتا» تركنا العربة مع ثيرانها ، بعهدة جوزا موتوم ،وأجرنا ستة من الرجال ،لحمل امتعتنا، فضلاً عن امبوبا ، وكهيفا وفيتفوجيل ·· وواصلنا الرحيل سيراً على الاقدام ·

وبعد مسيرة حوالي أسبوعين من «انياتا» ، وصلنا بقعة

ساحرة ، حططنا الرحال فيها ·· قرب بحيرة رائقة المياه كانت الارض عبارة عن قاع نهر جاف يتموضع تحت تلال مغطاة بالاشجار والاجمات الكثيفة ·· تناولنا عشاءنا تحت ضوء القمر ·· ثم أخذنا بالتدخين والثرثرة حول امور رحلتنا المتعبة ·· كانت الحشائش الكثيفة والدغل تحيط البحيرة من كل جانب ·· كأنها بحر من الخضرة بلا اية منافذ او ممرات ··

سمعنا وقع اقدام ثقيلة واصوات تكسر الاغصان الصغيرة، لاح بعدها بثوان معدودة ظل ضخم يتحرك بين الاجمات، قفز الكابتن جود نحو بندقيته ، لكني امسكت به من ذراعه ومنعته من إطلاق النار ·

ـ « دعها تذهب ·· ولا تتهور انه قطيع من الفيلة ! » ·

قال السير هنري :

ـ «أقترح بأن نتوقف هنا ليوم او اثنين ،ونحاول صيد الفيلة، انها هواية جميلة ،اليس كذلك ؟ !» ·

ـ «فكرة طيبة ايها الاصدقاء» قلت «اعتقد اننا بحاجة الى نوع من التغيير بدلاً من السير المتواصل ،والآن عليكم

بالنوم أذ يجب ان ننطلق فجراً للامساك بها قبل رحيلها» ·

استيقضنا مع الضياء الاول للفجر ، وكنا جاهزين للانطلاق والبحث عن الفيلة ·· ولكنها سبقتنا في مغادرة المكان اثناء الليل ، وكأنها عرفت نوايانا المبيته لها · قاربت الساعة التاسعة ، وعلت الشمس في كبد السماء · دون ان نستطيع أكتشاف أحدها · ولكن فجأة لاحت لنا بين الادغال الكثيفة ·· يتراوح عددها بين العشرين والثلاثين فيلاً · كان لوقع خطواتها مجتمعة صدى مدوٍ ·· وبدا عليها انها قد انتهت تواً من الانقضاض على وجبتها الصباحية ·

أنشغلت مع السير هنري بمراقبة المشهد الممتع ،عندما أستدارت الفيلة فجأة ·· وحركت آذانها متموجة ،ورفعت خراطيمها ،كفرقة رفعت ابواقها لتعزف لحناً موحداً ·· تلاه اندفاعها في طوفان مدوٍ أسود ·· نحو قرص الشمس الحمراء ·

تفرقت المجموعة ·· قررنا اتباعها وبعد مسيرة ساعتين

تحت الشمس المحرقة وجدناها ·· أمسكت ملء قبضة يدي من العشب الجاف ونثرتها لمعرفة اتجاه الريح ·· كانت الريح تهب بأتجاهنا ·· مما شجعنا على التحرك بهدوء مقتربين منها ·· ولم يعد يفصلنا عنها أكثر من اربعين متراً ·

كانت ثلاثة منها تجلس منعزلة وجوانبها نحونا·· أخترت أوسطها وأختار هنري الفيل الذي في اليسار ·· وصار الثالث من نصيب جود ·

- « الآن » همست بصوت خفيض ·

«بوم ·· بوم ·· بوم ··» دوت البنادق الثقيلة ،وسقط فيل السير هنري خامداً دون حراك ·· بينما اقعى فيلي على ركبه فعالجته بأطلاقة اخرى أجهزت عليه ·

في حين اندفع فيل جود نحوه بجنون ،وعيناه تتطايران شرراً من الغضب والالم ·· كان لوقع خطاه واندفاعه السريع أثراً مرعباً ، عززه اندفاع الفيلة الأخرى في ذات الاتجاه في طوفان رهيب مدمر ·

ركض جود وكهيفا نحونا ·· يلاحقها الفيل الجريح ·

فقدَ جود توازنه .. وكبا على وجهه ،عندما انزلقت رجله على العشب الطري اندفع الفيل الضخم بخطواته المهولة نحوه . اغمضت عيني وايقنت بأن جود ميت لاعالة .. خلال ثوانٍ سينتهي كل شيء .. ولكن استدار كهيفا بسرعة رامياً سهمه الحاد بقوة ،فأصاب وجه الفيل ، ومع صدى صرخة الالم التي أطلقها اندفع الفيل صوبه، اسقط كهيفا ارضاً .. ثم داس بقدمه الضخمة على بطنه .. شعرت بالارض تميد تحتي ولم أستطيع تحمل رؤية هذا المشهد الدامي . وأندفعنا بجنون ورعب ،نطلق النار بتهور في كل اتجاهات وصببنا سيلاً من النار صوب الفيل الجريح الجامح حتى تكوم ميتاً . اجهش جود في البكاء ورمى نفسه على الزولوي الشجاع الذي انقذ حياته .

شعرت بتنفسي يضيق .. وراودني احساس بالغثيان بينما نظر امبوبا الى جثة الفيل الهائلة وجسد كهيفا المسكين وقال :

ـ « آه .. يالِلاسف .. لقد مات ، ولكنها ميتة رجل شجاع » .

5

مسيرتنا في الصحراء

بعد مسيرة طويلة منهكة ، وصلنا الى كرال «سيتاندا» قرب نهر لوكانجا .. والتي تشكل نقطة البداية الحقيقة لرحلتنا . كانت قرية صغيرة هادئة تتوسط عدداً من حقول الذرة الصغيرة .

كان الوقت غروباً ،وقرص الشمس الأحمر يغطس بهدوء وسط الصحراء اللامتناهية .. هبت نسمة هواء عليلة صافية .. لفتت انتباهنا الى ذلك الافق الضبابي البعيد حيث لاح ظل خفيف لجبال الملك سليمان . التفت الى أمبوبا ، كان

يقف الى جانبي ويشخص ببصره صوب تلك الجبال . وقال :

ـ « ماهي الحياة ؟ قل لي ايها الرجل .. يامن تعرف اسرار العالم والنجوم .. انك لاتستطيع الاجابة .. لاتعرف .. اليس كذلك ؟

اسمع سأجيبك أنا !! .. »

« من مكان بعيد عن الظلام جئنا .. والى الظلام نذهب ،مثل طيور تقودها العاصفة في ليل دامس . نطير عالياً الى اللامكان قد نرى في الضوء لبرهة ثم نعود ثانية الى اللامكان ! »

«الحياة لاشيء .. وهي كل شيء .. انها اليد التي تحمل الموت ، والشعلة التي تشرق في الليل ، وتكون سوداء في الصباح ، انها نَفَس الثيران الابيض المتكاثف في الشتاء . انها الظل الذي يركض على العشب ويتلاشى في الغروب .» .

ـ « انت رجل غريب » قال السير هنري

ـ « اذا قُدر لنا ان نعبر تلك الجبال التي تجاور الشمس سأقول ماأعرف .. ولكن الموت يعرش هناك ،فكر جيداً .. وعُد

من حيث جئت .. وأنا سأتحدث !! .. » .

ورفع رمحه بالتحية متوجهاً نحو المعسكر .. فقلت :

ـ « انه يعرف شيئاً ما .. لايحب اطلاعنا عليه .. اعتقد اننا سنواجه عثرة ما .. وسيبذلّ لنا هذا الزولوي الشجاع المساعدة » في اليوم التالي تركنا بنادق الصيد الثقيلة في عهدة رجل عجوز في القرية ،وسرحنا مساعدينا الستة ، وقررنا الاستراحة يوماً واحداً قبل مواصلة الرحلة .

كنا خمسة جاهزين لبدء الرحلة ،. هنري ، كابتن جود ، امبوبا ، فينتغوجيل وأنا .. أنبرى هنري بالقول :

ـ « والآن .. نحن جاهزون » .

وانطلقنا لم نكن نملك اي دليل سوى تلك الجبال البعيدة التي تلوح في الافق .. وخريطة خوزيه دا سيلفسترا القديمة . تلك الخرقة البالية التي مضى عليها أكثر من ثلاثمائة عامً . كان نجاحنا يعتمد على ايجاد البحيرة المالحة التي تشير الخارطة الى انها تقع في منتصف الصحراء ، وعلى مسافة حوالي 90 كيلو متراً عن نقطة انطلاقنا . إنصَبّتْ كل آمالنا على

اكتشاف تلك البحيرة فهي المنقذ الوحيد لنا من الضياع وسط متاهة تلك الصحراء الشاسعة ،ووسط بحار الرمال .. وغوجاتها .

ياترى هل كان دا سيلفيستزا قد شاهد تلك البحيرة حقاً ! وما الذي حدث لها طيلة الـ 300 عاماً الماضية ، هل يمكن ان تكون جافة الآن ،أو امتلأت بالرمال المتحركة ؟ انها مغامرة مخيفة حقاً ..

سرنا صامتين وسط تلك الصحراء القاحلة ، وأخذت السماء الى الشرق منا ، تحمر كوجنتي فتاة خجول .. حيث لاح ضياء وردي ، تحول فيا بعد الى لون ذهبي مُتوهج .. واختفت النجوم عن صفحة السماء الساكنة .. فيا بقيت الجبال شامخة بوجه القمر ، بارزة أشبه بعظام رجل ميت .

أنثالت علينا سهام الضوء الحادة ، أذ تنفذ الينا مخترقة كتل الغيوم ، وتفرقها لترمي نيرانها على ذرات الرمل والاشياء، أرتدت الصحراء ثوباً ذا وهج ذهبي راقص .. وكان

النهار .. سرنا تحت الصخور الحادة طلباً للفيء ،وشربنا الماء الذي أخذ بالتناقص . أفترشنا الرمل حيث غرقنا في نوم عميق . استيقظنا على لسعات الشمس المحرقة التي قضت مضاجعنا .. ولفحات السموم الخانقة .. كانت الشمس قد علت فوق رؤوسنا لم تعد الصخور كافية لحمايتنا قال الكابتن جود :

- «يجب أن نحفر حفرة .. ونغطي انفسنا بتلك الشجيرات القليلة والاشواك .. والا سنصطلي بتلك الشمس المحرقة» .

نفذنا اقتراحه .. وحظينا بسويعات قليلة من الفيء .. ولكن الحرارة أخذت بالتصاعد حتى وصلت حداً يصعب احتماله .. فقررنا مواصلة السير رغم الشمس ،هرباً من الموت خنقاً . حتى وصلنا الى تلة صغيرة احتمينا بظلها قال أمبوبا :

- « اذا لم نجد الماء .. سنكون جميعاً في عداد الاموات قبل ان يشرق القمر ثانية ».

- 6 -

مــــاء .. مـــاء

في صباح اليوم التالي .. فتحنا ابصارنا على منظر مدهش اذ على بعد 70 أو 80 كيلو متراً لاحت لنا بوضوح الجبال ، مكللة بالثلوج ، وردية مثل الفضة المشرقة في اشعة الصباح الباكر ، وقد نتأ جبلا شيبا وسطها بوضوح . مد فينتفوجيل انفه في الهواء الحار وقال :

- « اشم رائحة ماء !! » .

قلت بغضب «أنت غبي ! أنى تجد الماء وسط تلك

الصحراء القاحلة ؟ ».

وقف هنري ممسداً لحيته الصفراء وقال :

- « اعتقد انه محق .. يمكن ان نجده في قمة هذا التل » .

قال جود :

- « اية حماقة تلك ، من سمع منكم طيلة حياته بماء فوق قمة تل ! » .

ركض امبوبا دون ان ينتظر سماع تعليقات جديدة ،وتسلق سفح التل الرملي نحو قمته .. حيث وقف كنصب حجري يمثل الانتصار .. وصرخ بأعلى صوته :

- « هنا الماء .. وجدت الماء !! » .

اندفعنا نحوه مجنون ! من يصدق بأننا يمكن ان نجد مصدراً للمياه وسط تلك الصحراء القاحلة ، ولربما كانت تلك هي مياه البحيرة المقصودة . جلسنا الى الضفة نعب المياه دون ان يثنينا لونها الاسود ، وقوامها الآسن وخلع البعض منا ملابسهم ، ليسبحوا ، وسط تلك البحيرة وكأنهم ارادوا تعويض كل خلية في أجسادهم عن العطش الذي تحملته .



كان البرد حاداً ومؤلماً داخل الكهف

قضينا يوماً ممتعاً بجانب تلك البحيرة ، أنسانا عطش وتعب الصحراء القاحلة ٠٠ وفي المساء ملأنا زمزمياتنا وأوانينا بالمياه ، سرنا قرابة اربعين كيلو متراً ، وبعد يوم آخر وليلة بطولها ، كنا قد وصلنا قرب جبل شيبا الايسر ٠ حيث تسلقنا بصعوبة بالغة وبطء شديد ، تلك الصخور الحارة التي أحرقت راحات ايدينا وسددنا رمقنا بفاكهة برية جلبها أمبوبا ٠ واصلنا التسلق ثلاثة ايام أخرى ٠٠ ساءت حالة فينتفوجيل خلالها ٠٠ حيث الحد الثلجي ، كنا نرتجف من البرد ٠٠ وكان امبوبا يسير الى جانبي متدثراً ببطانية امسك بذراعي فجأة وقال :

ـ « انه الكهف ! » ٠

وحين وصولنا اليه ٠٠ غادرت أشعة الشمس بسرعة غريبة تاركة العالم في ظلام دامس ٠٠ شعرنا ببرودة شديدة والتصقنا ببعضنا طلباً للدفء ٠٠ كان البرد حاداً ومؤلماً داخل الكهف ٠٠ منعنا من النوم ، فجلسنا القرفصاء ٠٠ ومضت علينا الساعات طويلة ٠٠ بطيئة ٠٠ خلال البرد والسكون

المتكاثف . ظل فينتفوجيل يرتجف طوال الليل ، كنت اشعر به حيث كان ينام لاصقاً ظهره الى ظهري . وقبيل الفجر ساد جسده سكون غريب ، وبدا لي انه اصبح اكثر برودة .. وأخذت برودته بالتزايد شيئاً فشيئاً حتى اصبح أخيراً أقرب الى كتلة متجمدة .

بدأت العتمة بالتبدد .. واصبح فضاء الكهف رمادياً بفعل تسلل الضوء اليه . ثم اقتحمت أشعة الشمس كثافة الظلمة المتطامنة في المكان ، ووضحت بنورها كل تفاصيل المكان .. ولكن يا للهول .. فينتفوجيل !! .. كان لا يزال يجلس القرفصاء .. متجمداً .. ساكناً يلف ذراعه حول ركبتيه .. لقد كان ميتاً !! ومن مكان آخر من الكهف علت صرخة رعب انطلقت من اعماق الكهف .. التفت ،لاح لي تحت شعاع الضوء الواهن ، شكل بشري آخر يتوضع في نهاية الكهف ،مسنداً رأسه على صدره ، وذراعاه الطويلتان تمسان الارض . يبدو انه رجل مات منذ زمن طويل .

كان ذلك مرعباً لنا .. ونذير شؤم شديد ، فأندفعنا مسرعين ونحن نرتجف خوفاً ..

• • •

الطريق الملكي

وقفنا خارج الكهف ، ينتابنا شعور غريب ،أذ لانعرف كيف نتصرف ..

- «انا سأعود الى الكهف» قال هنري .

- «لماذا»

- « اعتقد ان هذا الميت ٠٠ يمكن ان يكون أخي ؟ ! »

عدنا معه الى داخل الكهف ٠٠ أقترب السير هنري من الجثة وحدق بدقة في وجه الميت قال :

- « الحمد لله ٠٠ انه ليس أخي ! » ٠

كان جسد رجل طويل في منتصف العمر ٠٠ وجه طويل ٠٠ وشعر رمادي وربما كان الجلد اصفر يلتصق بقوة في العظام التي برزت من تحته ٠٠ كانت معظم ملابسه قد اختفت قلت :

- «اي رجل من هذه البسيطة يمكن ان يكون ؟ »

فأجابني جود

- الا تستطيع ان تخمن ؟ انه خوزيه دا سيلفيسترا الكبير بالطبع ، ومن يكون غيره ! »٠

- «مستحيل» قلت «سيلفيسترا مات منذ ثلاثمائة سنة مضت » ٠

قال جود « ولكن في مثل هذا المكان البارد ٠٠ وسط تلك الثلوج يمكن ان يبقى ثلاثة الاف سنة أخرى ، حيث

لايمكن للشمس ان تدخل هنا مطلقاً ، ولا تجازف الحيوان بالدخول الى هنا للعبث بالجثة »

وتركنا الكهف ٠٠ لندخل مجال الشمس الرحبة، وتوضحت على بعد 1500 متراً تحتنا غابة ، وأرض خضراء تمتلأ بقطعان لاتحصى من الجاموس البري ٠ نظرنا الى تلك البقعة والوفرة من المياه كحلم ،بعد ليالي العطش والقحط التي عشناها ٠ كان هناك عدد كبير من الشلالات والجداول الصغيرة التي تزين السفح الشمالي للجبل ،وتبدو كزخرف متناسق ، وتلتقي نهاياتها مع بعضها لتكون انهاراً ضخمة تشق طريقها ملتوية بين الصخور ٠٠ مثل افاع فضية ٠

- « انظروا » قال السير هنري فجأة «طريق الملك سليمان»

لقد كان هناك طريق عريض حقاً ، سرنا لمسافة كيلو متر او أكثر حتى وجدنا منفذاً يقودنا اليه وسط تلك الصخور الضخمة ،كان عرض الطريق حوالي 15 متراً ، ويمتد على سفح الجبل نحو السهل ٠٠ وتزين جانبيه الاشجار ، انه طريق ملكي حقاً ٠٠ سرنا نازلين عبره ٠

تحول الطقس وأصبح اكثر جمالاً ودفءً ، وفي منتصف الطريق امتدت الغابة الخضراء ·· وعلت أصوات موسيقية رائعة ·· تسمع بينها خرير الجداول وهي تغني للاشجار بسعادة، وحفيف الريح المنعشة وهي تهمس لاوراق الاشجار المتراقصة ياله من مكان ساحر ··

جلس السير هنري وأمبوبا يتحدثان في صوت خفيض، واضطجعت انا على العشب الطري ،مراقباً جود الذي يستحم في الجدول ، ثم خرج ليجلس قربي ،كان يرتدي قميصه فقط ·· وأنشغل بتنظيف بنطاله وجزمته بقبضة من العشب ثم أخذ بفحص مانظفه بعدسته الزجاجية تحسس وجهه بأطراف اصابعه ،فكرت في سري ··

- «ياترى هل سيحاول حلاقة وجهه ؟!» ·

ومثلما توقعت أخرج علبة الموسى ، ورطب وجهة ليبدأ الحلاقة، عجيب امر هذا الرجل واهتمامه بالنظافة ، تركته ينجز عمله وسرحت مستذكراً احداث رحلتنا في القرية وصيد الفيلة ،والكهف ·

فجأة قطع تفكيري اندفاع شيء لامع بأسرع من لمح البصر لم يكن سوى مدية مرت من فوق رأس جود ، لتنبت في أحدى الاشجار القريبة · قفز جود صارخاً ،دون ان يكمل حلاقة نصف لحيته الأيسر ·

التفت كان على بعد خطوات قليلة منا جماعة غريبة من الرجال طوال القامة ، ملوني البشرة ، يرتدي بعضهم جلود النمور · وقد وقف في مقدمتهم شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر رفع كفه ،فتقدم نحوه رجل عجوز ،وهمس في آذانه ·

- « أنزلوا بنادقكم » قلت للسير هنري وجود وتوجهت نحو الشاب وقلت له باللغة الزولوية «مرحباً» ·

فأجاب الشاب مندهشاً «مرحباً» ثم بادرني بالسؤال

- «من انتم ؟ ومن اين اتيتم ؟ » ·
- «نحن غرباء ، وجئنا مسالمين» ·
- «لانكم غرباء ·· يجب ان تموتوا !! لايمكن للغرباء ان يعيشوا في ارض الكوكوانا ،هذا قانون الملك ·· جهزوا انفسكم للموت»



وأخذوا يبحلقون في هذا الكائن الغريب

سألني جود بحيرة :

ـ « ماذا يقول ؟ » .

ـ «انهم سيقتلوننا !!» .

ـ « آه .. يالهي .. » صرخ جود ،وظهر عليه ارتباك شديد مدّ يده ليوقف اصطكاك أسنانه الصناعية وارتجاف فكه ، فسقط الطقم العلوي منها ،ارتد الزولويون مذهولين ومرعوبين لرؤية ذلك .. وهم يصرخون «سناب .. سناب !!» (يعض) .

كانت تلك الحركة غير المقصودة من جود ، رسول الحظ الذي انقذنا ،حيث انقلبت المعادلة في لحظة واحدة . كان الكوكوانيون يرتجفون من الخوف ، ويبتعدون عنا .. والدهشة تعلو وجوههم . همس السير هنري لجود .

ـ «أخف أسنانك بسرعة .. أخفها !! » .

أسرع جود لاخفاء طقم أسنانه بين يديه بسرعة ،وابتسم فبانت لثته خالية من الاسنان .. تقدم الرجال يبطء شديد نحوه بعد ان اطمئنوا بأنه لايقصد ايذاءهم . وأخذوا يبحلقون في هذا الكائن الغريب الذي يرتدي

قيصاً وجزمة دون بنطال ،ولحية تنبت في نصف وجهه الايسر . قال العجوز مشيراً الى جود ..

- «اي كائن غريب هذا ؟! بتلك الساقين البيضاوين ،والشعر الذي يغطي نصف وجهه ،وتلك العين اللامعة التي ينظر من خلالها !! .. كيف يمكن لاسنانه ان تخرج من اماكنها ثم تعود ثانية ؟».

قلت لجود :

- « افتح فمك » . فصرخوا بصوت واحد :

- « اين أسنانه ؟ لقد شاهدناها بأعيننا »

ادار جود وجهه ببطء .. ليعيد أسنانه الى فمه خفية ، وضحك في سره لاعتقادهم بقوته السحرية . ابتسم ابتسامة عريضة فلمعت أسنانه في فمه وكأنها أسنان حقيقية ثابتة . رمى الشاب سكينته .. وسجد لرؤية ذلك .. بينما أخذت ركبتا العجوز ترتجفان هلعاً .. شعرت بالاطمئنان وقلت لهم بثقة

- «لقد جئناكم من عالم آخر ،نزلنا هنا من النجم الكبير الذي يشرق في المساء » .

- «آه .. انتم ابناء النجوم أذن ! ابناء بعيون لامعة ،وأسنان متحركة ،انا انفادوس بن كافا ،الملك الأوحد لناس الكوكوانا .. وهذا الشاب سكراجا ،ابن توالا الملك العظيم ،مرعب الاعداء ،والقائد لمائة الف من المقاتلين الشجعان ،توالا الاسود .. توالا المرعب !! » .

قلت :

- « والآن قدنا الى توالا هذا .. فنحن لانتكلم مع الناس الصغار » .

واجاب «انها رحلة ثلاثة أيام من هنا » .

- « لايزال امامنا وقت طويل ، لن نموت الآن ، قدنا الى هناك ، ولكن لاتفكر في خداعنا والاحتيال علينا ، ان بأستطاعتنا ان نعرف ماتفكر فيه عقولكم الصغيرة ، وتذكر ان هذا الرجل ذو الساقين البيضاوين ونصف اللحية ،والشعاع المنبعث من عينه .. سيدمركم حتى ان هربتم الى ارضكم اما أسنانه المتحركة ،فستلحق بكم ،وتلتهم أجسادكم اني ذهبتم .. تذكروا ذلك .. وخذوا حذركم !! » .

خفض العجوز رأسه علامة الموافقة ، وأستدار الى اتباعه الذين حملوا ملابس جود .. صرخ جود .

- « هنا .. أجلبوها الى هنا .. اريد ان ارتدي ملابسي » .

تقدم العجوز نحوه .

- « هل يتفضل سيدنا .. بأن يغطي رجليه الجميلتين عن اعين الخدم ! » .

صرخ جود دون ان يفهم كلامه :

- « هذا الرجل أخذ بنطالي !! » .

قال السير هنري .

- « عزيزي جود ، لن ترتدي تلك الملابس بعد الآن ،عليك ان تظهر امامهم .. بالقميص وزوج الجزم ، وعدسة العين فقط !! » .

- « هل حقاً ماتقول ؟ » سأل جود .

- « نعم .. لأنك اذا ارتديت ملابسك ،سينظرون اليك كرجل عادي . وتحل علينا الكارثة ! » .

«طيب» وافق جود على مضض

وسار بشكله الغريب الجديد . . . .

● ● ●

- 7 -

ودخلنا أرض الكوكوانا

انطلقنا في مسيرتنا نحو ارض الكوكوانا .. كان انفادوس وسكراجا يسيران معنا .. بينما تقدمنا أتباعها على مسافة مائة خطوة ، أخذت بمنظر ذلك الامتداد اللانهائي للخضرة التي تحيط بنا من كل جانب ، وتلك الحقول المزدهرة لنباتات برية غريبة حدثني انفادوس عن توالا طيلة الظهيرة ..

- ولدت أمه زوجة الملك توأمين في نفس اليوم ولكن لايسمح في قانوننا وقوانين آلهتنا ، ان يعيش كلا الطفلين .. بل ان الاضعف يجب ان يموت . الا ان الام أخفت الطفل الاضعف ،الذي ولد متأخراً عن أخيه .. وكان هذا الطفل هو توالا .. اما أنا فأخو توالا .. ولكن من ام أخرى » .

- « طيب .. »

- « عندما مات ابونا .. نُصب أخي اموتو ملكاً بعده، كا ولد له ابن من زوجته المفضلة ،وعندما اصبح عمر هذا الطفل ثلاث سنوات ،ضربت البلاد مجاعة مروعة . وكان الناس يبحثون عن شخص مايحملونه مسؤولية هذا النحس ،ويرضون الآلهة بقتله ! » .

« فأصدرت جاجول تلك المرأة الساحرة التي لاتموت ،فتوىً قالت فيها ان الملك اموتو ليس ملكاً ،مستغلة كون الملك اموتو طريح الفراش لمرضه . وأخرجت جاجول توالا أخي، الملك التوأم الذي أخفته منذ ولادته وطيلة الفترة الماضية في كهفها ،ونزعت عنه الملابس التي يرتديها لتري

الناس الشارة الملكية التي يحملها على خاصرته ،صورة الثعبان الملكي ،وقالت لهم هذا هو ملككم الحقيقي الذي انقذته وذخرته لكم لمثل هذا اليوم العصيب !! » .

صرخ الناس مؤيدين « الملك .. الملك .. عاش الملك » ، جاء اموتو عند سماعه تلك الضجة .. يهد الالم جسده ،مستنداً على زوجته وابنه الصغير آجنوسي » .

- «ماهذه الضجة .. لماذا تصرخون .. الملك .. الملك ؟ »

ركض توالا نحوه .. أمسكه من شعره ،ثم غمد مديته بوحشية في قلبه .. فصرخ الناس .

- « توالا .. توالا هو الملك » .
- « ماالذي جرى لزوجة اموتو وابنها الصغير آجنوسي ؟ » .
- « حملت الملكة ابنها الصغير .. وسيول الدموع تنهمر من عينيها، وهربت نحو الجبال . ولم يجرؤ احد على ان يقدم لها طعاماً او حليباً ويعتقد انها ماتت هناك ،اذ لم يرها أحد .. وكذلك الطفل اجنوسي» .
- «لو كان هذا الطفل حياً .. لاصبح الملك الحقيقي لقبائل الكوكوانا، اليس كذلك ؟ » .

- «نعم ‥ هذا صحيح ياسيدي ،فالافعى الملكية حول خاصرته ولكن مضى زمن طويل على وفاته ‥ »·

كنا قد وصلنا ارض الكوكوانا ،وأرسل انفادوس أحد رجاله لاعلام المخيم القريب بوصولنا ،حيث بدأت الجموع تتراكض لرؤيتنا ·

- «لاتخف ياسيدي» قال انفادوس بسرعة «هؤلاء الرجال جيعاً تحت أمرتي ،لقد خرجوا لاستقبالكم بناءاً على اوامري ،ويلمح البصر ،تجمع حولنا مايقارب الاربعة آلاف مقاتل ينتظمون في مجاميع متقابلة ‥ كانوا طوال القامة لايقل طول الواحد منهم عن 185 سنتمتراً، يرتدون حول رؤوسهم اطواق ثقيلة من ريش طائر الساكوبولا ،ويشدون حول خصورهم وتحت ركبهم شعر ذيل الابقار · حاملين بأيديهم اليسرى تروساً ضخمة مدورة ،صنعت من صفائح حديدية خفيفة مغطاة بجلد الابقار المبقع · وكانت أسلحتهم البسيطة تتكون من رمح قصير ومتين ،يستعمل للقتال ،وثلاث سكاكين كبيرة تتوضع أحداها في الحزام

والاخريان خلف الترس المدور ،ويستعملها محاربو الكوكوانا للرماية على مسافات بعيدة نسبياً ·

ارتفعت السهام عالياً في الهواء لتحيتنا ‥ حين اخترقنا تلك الصفوف ‥ فيما صدحت أكثر من ثلاثمائة حنجرة بالتحية الملكية ‥ «كوم ‥ كوم ‥» ·

ثم اندفعت تلك المجاميع خلفنا ، في موكب مهيب يضم خيرة مقاتلي الكوكوانا ‥ الذين يسمونهم «الرماديون» نسبة الى تروسهم التي تميل الى اللون الرمادي ·

سار موكبنا هذا عبر الطريق الملكي نحو قصر الملك توالا ‥

• • •

9

الملك توالا

كان القصر الملكي المسمى «لو» ، حيث يسكن الملك توالا يبعد مسيرة يومين أخرين ،وقد وصلنا اليه مع غروب شمس اليوم الثاني ،أشار انفادوس الى ثلاث قمم مكللة بالثلج تلوح الى الشمال منا ·· وقال

- «هناك ينتهي الطريق ، ولا يستطيع اي انسان ان يصل الى هناك !» ·
- «ولماذا ينتهي» سألت بلهفة ·
- اجابني «من يعرف!» التفت الى السير هنري وهمست :

- « هناك كنوز وجواهر الملك سليمان » ·
- «نعم» قال امبوبا «الجواهر هناك بالتأكيد ،وانت ستحوزها» ثم ضحك مستهزئاً وتركني ·· قال السير هنري :
- «ياترى ماالذي يعنيه ؟ هناك شيء آخر ياكواتيرماين ، هل سمعت بأي شيء جديد عن أخي ؟ » ·
- « كلا ·· الكل يقولون بأنهم لم يروا اي رجل ابيض مر في هذه الارض منذ زمن طويل » · فسأل جود ·
- « هل تخمن بأنه قد وصل الى هنا حقاً ؟! » ·
- «لا أدري» أجاب السير هنري «ولكني اعتقد بأني سأجده بطريقة ما» ·

لاحت لنا أضواء مدينة «لو» ·· وكانت آلاف من النيران الصغيرة امام الخيم والاكواخ ·· وعبرنا الجسر الصغير الذي يفصلنا عنها بعد ان ذكر انفادوس كلمة السر للحارس ·· فسمح بمرورنا ·· سرنا وسط صفوف منتظمة من الاكواخ الصغيرة حتى وصلنا في النهاية الى مجموعة صغيرة منعزلة من الاكواخ خصصت لسكننا · وحصل كل منا على كوخ منفصل يحتوي على سرير مريح ووجبة طعام ،فأكلنا وشربنا ثم

أجتمعنا في كوخ واحد طلباً للآمان وزيادة في الحذر . حيث غططنا في نوم عميق .

عندمـا استيقظنا كانت الشمس قـد علت وتوسطت صفحة السماء الساكنة ،حلق جود نصف لحيته الايمن فقط ،اذ لاتسمح لـه بلمس النصف الايسر .. وكان يمرر المـوسى على وجهه متذمراً فيما أخذتنا نوبة من الضحك لمرآه بهذا الشكل المضحك .. تناولنا فطورنا ثم حزمنا بنادقنا حيث اقتادنا انفادوس الى ساحة فسيحة يقع في نهايتها قصر الملك توالا ..

امتلات الساحة بمجموعات ضخمة من المقاتلين قدرت عددهم بـ 7 ـ 8 آلاف مقاتل . كانوا يقفون في استعداد بينما كنا نخترق صفوفهم نحو المنصة الملكية .. انه منظر جميل حقاً ،امواج الريش التي تزين الرؤوس .. الرماح اللامعة بأنعكاس أشعة الشمس عليها .. والتروس المغلفة بجلد الابقار .

وامام المنصة الملكية صف عدد من المقاعد الصغيرة ،افترشناها انا وهنري وجود ووقف امبوبا الى جانبنا .. شعرت بأننا كنا تحت رحمة الثمانية آلاف زوج من العيون التي

تراقبنا . بعد دقائق عشر من الانتظار القلق والترقب ،فتح باب القصر وظهر رجل ضخم يرتدي جلد نمر على كتفيه . وتبعه الشاب سكراجا ،وتحرك خلفهم شيء ماأشبه بقرد . ركض القرد الى ظل القصر ،وجلس على الارض . وخيم الصمت على المكان .. كسر حدته هذا الرجل العملاق عندما رمى جلد النمر الذي يرتديه .. كان لـه اقبح وجه رأيته في حياتي ،شفتان ضخمتان ،أنف مفلطح يغطي نصف وجهه، وعين سوداء واحدة تلمع ببريق غريب ،فيما ضمرت عينه الأخرى ،كان انطباعنا العام عنه انه احد أكثر الاشكال وحشية في الارض . علا رأسه الضخم طوق جميل من الريش الابيض ،وغطى جسده درع من السلاسل الحديدية اللامعة ،وشد حول خاصرته وركبتيه ذيل ثور مثل مقاتلي الكوكوانا .. فيما زينت عنقه سلسلة ضخمة من الذهب الخالص وزينت جبهته جوهرة كبيرة غير مقسمة .

كان هذا هو الملك توالا المرعب .. وحين رفع رمحه الكبير رد الثمانيـة آلاف مقاتل التحيـة بحركة منتظمة ،وانتظمت حناجرهم بصوت واحد في التحية الملكية (كوم) ،رددوها ثلاث

مرات · ثم علا سكون مميت مزقه سقوط ترس أحد المقاتلين، ادار توالا عينه الوحشية الوحيدة نحو مصدر الصوت وقال بصوت أجش :

ـ « انت ·· تعال الى هنا ! » ··

خرج شاب صغير من بين الصفوف ،وتقدم نحونا بتردد مطأطأ الرأس ·

ـ هل ترسك الذي وقع ؟ ياكلب ! لقد جعلتني أبدو احمقاً بنظر هؤلاء الغرباء من النجوم ،جهز نفسك للموت !»

ـ « انا ملك الثور » أجاب الشاب بصوت خفيض ·

فصرخ توالا «سكراجا ·· اقتل هذا الاحمق ! » ابتسم سكراجا وتقدم رافعاً سهمه ،كنا نراقب الموقف برعب ،حرك سكراجا سهمه مرتين ثم رماه بقوة صوب الرجل ·· نبت الرمح في بطنه واقعى على الارض وصرخة ألم فظيعة تملأ فمه ·· ثم سقط على ظهره ميتاً ·

قفز هنري على قدميه وصرخ غاضباً ،ولكنه تذكر صعوبة موقفنا ،فصمت وفضل الجلوس ،جاء أربعة رجال لحمل الجثة بعيداً ·· أستدار توالا نحونا وقال :



كان انطباعنا العام عنه انه اكثر الاشكال وحشية في الارض

- « مرحباً بالرجال البيض » .
- « مرحباً ياتوالاً .. ملك الكوكوانا .. »
فقال مشيراً الى أمبوبا « وهل هذا جاء من النجوم ايضاً ؟ » .
- «نعم» قلت له «ان هناك ناس لهم لونكم .. ولكن لاتسأل عن الامور التي فوق مستوى فهمك ياتوالا ! » . فأجاب :
- « النجم بعيد جداً .. وانتم هنا .. وقد رأيتم ماصنعت بهذا الرجل قبل قليل .. فتخيلوا انه يمكن ان يحدث لكم » .
ضحكت بهستريا ،لكن ضحكتي كانت مصطنعة خائفة ولم تكن من أعماق قلبي فقلت :
- « آه .. ايها الملك .. خذ الحذر ،وليكن في علمك ،بأنك أذا لمست شعرة واحدة من أحدنا ،سترى كيف سيحل الدمار بكم . واعلم كذلك ان بأستطاعتنا ارسال الموت من مسافات بعيدة جداً ! » .
- « دعني اراك تقتل ،اقتل رجلاً من بين هؤلاء الواقفين وسأصدقك !! » .
- «كلا» قلت «نحن لانقتل الرجال عبثاً ،قل لحرسك ان يطلقوا ثوراً عبر هذه البوابة ،وقبل ان يخطو عشرين

خطوة سأقتله ! » .
- «كلا .. تلك مناورة» ضحك الملك «لن أصدقك .. اقتل رجلاً لأصدقك !! » فقلت ببرود .
- «طيب .. أذا كان لابد من ذلك ،سر في تلك الساحة بنفسك ،وقبل ان تصل أقدامك الى البوابة ستسقط ميتاً اذا ترددت ارسل ابنك سكراجا بدلاً عنك » .
صرخ سكراجا مذعوراً ،وركض الى القصر عند سماعه تلك العبارة . حزن الملك لذلك وأمر بغضب «اطلقوا ثوراً بسرعة ! »
ركض رجلان بسرعة لتنفيذ ذلك .. قدمت بندقيتي للسير هنري وقلت :
- « اتمنى ان تكون موفقاً في تصويبك » .
- فقال متردداً « يجب ان تكون كذلك ،والا هلكنا ! » .
وخلال ثوان قليلة كان الثور يركض عبر البوابة ،لكنه توقف حين شاهد كل هذا الحشد من الناس ،فدار حول نفسه ،وخار بقوة كأنه يطلق نداء استغاثة ،همست للسير هنري .
- « الآن » ..

رفع هنري بندقيته «بنغ ·· بنغ» تكوم الثور على مؤخرته وعلت همسات الدهشة بين الجموع المزدحمة ،استدرت نحوم وقلت :ـ

ـ « لقد رأيت بأم عينك ·· هل كذبت ·· ايها الملك ؟ »··

« كلا ايها الرجل ·· كلا ·· »··

ـ « والآن ياتوالا سنهديك هذه العصا السحرية ،ولكن تذكر اذا مارفعتها ضد رجل ما فأنها ستقتلك ! »··

أخذ الملك البندقية فرحاً ·· ومندهشاً ·· فتقدم المسخ الشبيه بالقرد زاحفاً من موقعه في ظل القصر ·· وعندما وصل قرب الملك رمى جلد الحيوان الذي يرتديه ·· ياللمفاجأة ·· كانت أمرأة مسنة جداً ·· وكان رأسها صغيراً اقرب الى رأس طفل بعمر سنة واحدة ، ولكنه يمتلىء بالتجاعيد والطيات ، وفي الغالب لم يتوضح انفها ، اما الفم فلم يكن سوى فتحة رفيعة غائرة ·· كان وجهها خالياً من الحياة ·· بأستثناء زوج من العيون السود الواسعة ·· تقدحان شرراً وخبثاً ،مثل جواهر دفينة في بيت مهجور · كان رأسها يخلو من الشعر ·· ويمتلىء بطيات جلدها الاصفر ·· مثل

رأس الافعى · رفعت المرأة العجوز يدها الرفيعة بأظافرها الطويلة التي تشبه المخالب ·· ووضعتها على كتف الملك ـ ثم أدارت رأسها الاصلع نحونا ، وتحدثت بصوت رفيع حاد يخلو من نبرة مميزة ·

ـ «ماالذي تبحث عنه ·· ايها الرجل القادم من النجوم شخص ضائع لن تستطيع العثور عليه هنا ! » ·

«لقد جئتم لأجل الاحجار اللامعة ·· أنا أعرفها ·· انا اعرفها ·· انكم ستجدونها ·· ولكن هل تستطيعون العودة ،أم هل ستبقون هنا معي ؟ » ·

« وانت ·· انت ياذا الجلد الداكن » وأشارت بمخالبها نحو امبويا ·

ـ «من انت ؟ وعم تبحث ؟ ليست الاحجار اللامعة ،لدي أحساس بأني أعرفك ،أكاد أشم رائحة الدم في قلبك ·· انزعوا الثوب ·· انزعوا الثوب !! » ·

تغير وجه المرأة العجوز فجأة ،وتحول الى مسخ غريب دون شكل او ملامح ·· ثم سقطت على الارض ،وهي تنتفض

وترتجف ٠٠ حتى فقدت الوعي ٠ فحملوها الى داخل الكوخ بسرعة. حرك الملك يده مشيراً الى مقاتليه الذين أخذوا ينفضون عن المكان وقال ٠٠

- « ايها الرجال ٠٠ ان جاجول تتحدث بكلمات غريبة »

« أذهبوا بسلام حتى المساء ،حيث موعدنا مع الرقصة الكبرى » ٠

نهضنا ٠٠ وعدنا الى أكواخنا قلقين ٠

- 10 -

رقصة المــوت

عندما وصلنا الى الاكواخ ،طلبت من انفادوس ان يدخل معنا ،فقلت له « يبدو ان توالا هذا ٠٠ رجل وحشيّ »٠

- «اجل ياسيدي ٠٠ انه كذلك ،وسترى هذه الليلة بنفسك، انها رقصة الموت الكبرى ،حيث لاأمان لحياة الرجل أذا رغب الملك في بقرته او زوجته ،او توهم ان هذا الرجل ضده ،فأنه سيموت في الحال ٠ ان جاجول وبعض نسائها يتشممن رائحة افكار الرجل الممنوعة ،ثم يشرن بقتله» ٠

- « انفادوس .. لماذا لايثور الناس ضد هذا الملك الظالم ».
- « سيصبح سكراجا ملكاً مكانه ،وقلب سكراجا هذا أكثر قسوة من قلب ابيه ،آه لو كان الملك الكبير اموتو أو ابنه أجنوسي احياء .. ولكن يالأسف كلاهما ميت الآن».
- «وكيف عرفتم ان أجنوسي قد مات» قال أمبوبا بحدة ،ثم اكمل :
- «اسمع ياانفادوس .. الام ماتت ذلك صحيح ، ولكن الصبي اجنوسي سافر عبر بقاع الارض ،وعاش في البلاد البعيدة .. ،ولسنوات عديدة أضطر الى العمل .. خادماً .. وجندياً ولكنه أختار في النهاية هؤلاء الرجال ، حيث قطع معهم الصحراء ،وعبروا الجبال .. وحتى وصلوا الى ارض الكواكوانا ثانية حيث اهله واحبابه».
- «انت مجنون بالتأكيد !» قال المقاتل العجوز .
- «انت تتوهم ذلك يأنفادوس ،أنا أجنوسي ،الملك الحقيقي لشعب الكوكوانا !! ولديّ الدليل » خلع امبوبا الثوب الذي يرتديه «انظر !» وأشار الى وشم على شكل افعى

زرقاء ضخمة حول منتصفه .

ركع انفادوس على ركبتيه «كوم .... كوم .. انه ابن أخي انه الملك !» .

- «انا لست ملكاً الآن ، ولكني احتاج الى مساعدتك لأكون كذلك ،ومساعدة هؤلاء الاصدقاء الشجعان ايضاً».

قطع خلوتنا تلك وصول ثلاثة رسل من توالا يحملون ثلاث هدايا ،وهي ثياب صنعت من السلاسل ،أقرب ماتكون الى الدروع الطويلة .. أسترحنا حتى المساء ونحن نثرثر حول الحالة الجديدة .. ولغز امبوبا .. أو اجنوسي الملك الحقيقي ..

ومع غروب الشمس ارتدينا الاثواب الجديدة استعداداً لتلك الحفلة الغريبة .. حملنا بنادقنا معنا .. وذهبنا لمشاهدة الرقصة امتلأت الساحة بالناس الذين قدموا لمشاهدة الرقصة.

كان عدد المقاتلين يزيد على ٢٠ ألف رجل همس انفادوس :

- انهم حوالي ثلث الجيش ،انظر هناك سيقف توالا وابنه سكراجا وجاجول ،وبأمرهم سيقوم هؤلاء بقتل الابرياء !» ،وأشار الى اثني عشر رجلاً ضخماً ،وحشيّ

الهيئة ،كانوا يحملون الرماح في يد وعصياً ضخمة في
اليد الاخرى .

- « ابدأوا .. ابدأوا » صرخت جاجول .. وسمعنا قرع طبول
أفريقية مع وقع خطوات سريعة .. ظهرت عشر نساء
عجائز ،لهنّ اشكال مخيفة ،يتراكضن وشعورهن البيضاء
تتطاير خلفهن ،وقد صبغت وجوههن بخطوط بيضاء
وصفراء وعلقت بملابسهن جلود الافاعي وعظام بشرية .
وقد حملت كل منهن مكنسة . انتشرن على صدى
الصرخات الوحشية المرعبة وسط حشد الرجال المزدحمين،
أقتربت أحداهن منا وأخذت تدور .. وتدور بسرعة
رهيبة ،صارخة :
« أشم رائحة الاثم ،انها قرب الرجل الذي ماتت امه ،انا
أسمع صوت افكاره المضادة للملك ».

وواصلت دورانها .. أسرع .. فأسرع ،كادت عيناها ان
تخرجا من رأسها ،ثم حبت على الارض على اربع مثل كلب
بأتجاه الصفوف .. اطلقت صرخة قوية مخيفة قفزت أثرها

لتمس رجلاً طويلاً بمكنستها المشؤومة ،فسارع اثنان من رفاقه
لمسكه وسحباه امام الملك ..
صرخ سكراجا ضاحكاً .. «اقتلوه !» .

وبسرعة غريبة وجّه أحد القتلة رمحه الى صدر الرجل
ليرديه قتيلاً ،بينما سارع آخر الى تهشيم جمجمته وتحطيم دماغه
بعصاه الغليظة .
عدّ الملك توالا بصوته الأجش «واحد !».

وكثر ما يُجلب رجل مسكين آخر في نفس اللحظة ،وتقال
نفس الكلمات بحقه .. حيث يلقى ذات المصير المرعب
،وهكذا تواصلت اللعبة .. الرجال يتساقطون .. وتوالا يعّد
«اثنان» ،«ثلاثة» «عشرة» وسقط أكثر من عشرين رجلاً
،واندفعت جاجول بنشاط وحماس شديدين لتمس رجلاً طويل
القوام ،ضخم الجثة .. فسُحب الى الامام وقتل رغم كونه ابن
عم الملك.
واستمر توالا في عده .. «مائة وثلاثة !!» .
بدأت جاجول تتقافز مقتربة منا ،وبدأ الخوف يتسلل الى قلبي

.. ظلت تدور حولنا .. ثم توقفت ساكنة ،نظرت نحونا
شزراً كان الشرر يتطاير من عينيها ،ثم قفزت فجأة لتلمس
جنوسي من كتفه .. وصرخت :
انا أشمه ،اقتله .. اقتله ،أقتل الغريب ايها الملك »
تحرك القتلة نحونا ،فصحت بهم بقوة .
- «اذا لمستم شعرة واحدة من رأسه فأن ملككم سيموت»·
ووجهت بندقيتي الى صدر توالا .. ساد صمت قصير قال توالا
بعده .
- «ابعد عصاك السحرية تلك »·
قلت « هل انتهت الرقصة ؟ وهل تتركه بسلام »·
- «نعم .. انتهت .. أذهبوا بسلام !» .
ورفع سهمه .. بدأت جموع المحاربين في المغادرة في صمت
حزين .

- 11 -

وأعطينا الدليل

حضر انفادوس مع ستة من الشيوخ ،ليفحصوا وشم
الثعبان الملكي حول خاصرة اجنوسي ،ويتأكدوا من
شخصيته .
- «لقد رأيتم بأنفسكم !» قال انفادوس «فهل ستقفون الى
جانب هذا الرجل وتساعدوه لاستعادة عرش ابيه ،أم
لا ؟»·
تحرك أكبرهم سناً نحونا وقال «كل الشعب يصرخ ضد
توالا .. هذا هو الحق ياأنفادوس ،ولكن وشم الثعبان ليس

كافياً ،اذ يمكن ان يكون قد زَيف في اي وقت ·· نحن نريد دليلاً أكبر ولا نتحرك دونه ! » ·

شرحت ذلك للسير هنري وجود الذي قال «لدي فكرة ،أطلب منهم ان يتركونا للحظة» فخرج الشيوخ واتجه جود الى امتعته حيث استخرج كتاباً صغيراً ·· وسألنا :

- «هل يصادف يوم غد الثالث من حزيران ؟ » · فقلنا له :

- « نعم » قال جود

- « رائع » وقلّب الصفحات الأخيرة من كتابه :

- « انظروا هنا ، يحدث في الثالث من حزيران ،خسوف للقمر حيث يصبح في ظل الارض في الساعة 8·15 حسب توقيت كرينتش ويمكن ملاحظة ذلك مساء غد هنا · سيبدأ الخسوف هنا حوالي الساعة العاشرة، ويستمر حتى الساعة الثانية عشرة والنصف وهكذا ستحل علينا عتمة كاملة لمدة ساعة ونصف ،وهذه هي المعجزة التي نحتاجها لأثبات حقك ،قل لهم بأنك ستعتم القمر مساء الغد ! » ·

طلبنا عودة الشيوخ ·· وأشرت الى كرة القمر الفضية وقلت ·

- «ايها السادة ·· هل يستطيع اي انسان ان يجعل القمر يغيب قبل وقته ،ويغرق الارض في ظلام دامس» ضحك الشيوخ لسماع ذلك فقلت لهم مشدداً لهجتي :

«غداً مساءاً سنُخفي القمر لمدة ساعة ونصف ،وسنُغرق الارض في ظلمة دامسة ·· تلك هي معجزة أجنوسي التي تثبت انه ملك الكوكوانا» ·

- «نحن موافقون ·· وسنرى غداً ·· عند رقصة الفتيات ·· اعتموا القمر ·· واتقذوا الفتاة التي سيختارها توالا ·· قرباناً للالهة ، وسنصدقكم ! » ·

في تمام الساعة الثامنة والنصف من مساء الليلة التالية ،لبسنا دروعنا ،وأخذنا بنادقنا وتوجهنا لمشاهدة رقصة البنات، أخذت مجاميع الفتيات تتوافد على الساحة الكبيرة مجموعة تلو أخرى ، حيّانا توالا تحية ودودة ،الا انني لاحظت انه قد حرك عينه الوحيدة نحو امبوبا بكراهية ·

- « اهلاً بأبناء النجوم ،ولتبدأ الرقصة الآن » ·

تقـدمت الفتيـات وأكاليـل الـورود تُـزين رؤوسهن · يترغن بأغـانٍ حزينـة هـادئـة ،لهـا حزن ضوء القمر المنسكب وسـط السماء· وتقدمت أحدى الصبايا الجميلات بأتجاهنـا ·· بـدأت ترقص بعـذوبـة حولنـا ،كانت حركتهـا تمتلىء حيويـة وجمـالاً ،تبعتها فتاة أخرى ·· ثم ثالثة ·· وتواصل الرقص ··

أتمت جميع الفتيات رقصهن ،رفع الملك توالا يده وقال :

ـ « من تظنونها الافضل ايها الرجال ؟ ·· سنحككم ! » ·

ـ «الاولى» قلت بحماس ودون تفكير ·

ـ « انا اتفق معك ·· الفتاة فولاتا هي الأكثر جمالاً ·· ولـذا يجب ان تموت !!»·

ـ « تموت ·· يجب ان تموت ! » صرخت جاجول بصوت عالٍ ،قلت :

ـ « ولكن لماذا ايها الملـك ؟ هل هـذا جزاء اجـادتها الرقص وامتاعنـا، تكافئهـا بـأرسـالها الى الموت »· أشـار توالا الى الجبال وقال :

ـ «هـذه هي قـوانيننـا ،وآلهتنـا التي تكمن هنـاك في الصخـور، تحتاج الى قرابين ،والا فـأنهـا ستغضب علينـا أذا لم نهب

أكبرها فتاة جميلة قرباناً كل سنـة ، سيحل بنـا الـدمـار ·· والخراب والمجاعة ، سكراجا حد رمحك !» ·

أمسكت أذرع قويـة بفـولاتـا ،التي أدركت في الحـال مصيرهـا المفجع ،وبحركة مباغتـة أفلتت من قبضتهم ،ورمت نفسهـا ·· لتمسك بساقي جود ·· تخضل وجهها الجميل بالـدموع· وفـاضت عيناها بشعاع غريب ·· وبنظرات الرجاء ،صرخت :

« أيها الأب يامن جئت من النجوم ،ساعدني دعني أكون تحت ظل حمايتك ·· لأعيش بأمان ،آه ·· أنقذني من أيـدي هؤلاء المتوحشين ،ومخالب تلك العجوز اللعينة »·

اسرع سكراجـا نحـوهـا مشرعـاً رمحـه ،همس هنري في أذني «ماالذي تنتظره ؟ » ·

ـ « انتظر حلول الظلام عند خسوف القمر » ·

فقال ـ « يجب ان تجازف الآن ·· والا ستقتل الفتاة ! » ·

تغلبت على ترددي وصحت بتوالا :

ـ «ايهـا الملـك ·· نحن لن نسمـح بحـدوث ذلـك ،دع الفتـاة تعيش بسلام» ،نهض توالا من مقعـده وقـد استشـاط غيظـاً

.. والشرر يتطاير من عينيه

- «لاتسمعوا مايقولون .. اقتلها ياسكراجا ،ايها الحراس أقبضوا عليهم !».

تجمع هنري و جودوامبوبا الى جانبي .. وصوبوا بنادقهم نحو الحراس .. فصرخت بهم .

- «قفوا في اماكنكم ،واذا أقتربتم خطوة واحدة ،فأننا سنخفي القمر مثلما تطفىء الريح المصباح .. ونترككم في ظلام ابدي دامس !».

وقف سكراجا ومن خلفه الحرس امامنا حائرين ،وظلت رماحهم مشرعة في ايديهم ،كتماثيل حجرية ،نظروا الى القمر خائفين ثمة ظل خفيف يزحف نحو كرة القمر الفضية المشرقة، وأخذ هذا الظل الدخاني ينمو ويتكاثف متجمعاً على سطحه المضيء رفعت يدي صوب السماء وكذلك فعل جود وهنري وصحت بهم .

- «انظروا الى القمر .. سينطفىء ويتحول الى كتلة سوداء أمام اعينكم ».

انطلقت صرخات الهلع بينهم .. ورحنا نتمتم بكلمات ليست بذات معنى مدّعين انها تعاويذ سحرية . فيما كانت الحلقة المظلمة تزحف ببطء .. وتبتلع كرة القمر .. حتى غرقت تماماً في الظل ،وسادت الارض عتمة نحاسية . صرخ سكراجا .

- « ان القمر يموت .. لقد قتل هؤلاء القمر .. سنموت جميعاً سنموت ! » .

ورمى رمحه بأتجاه هنري بكل مايحمل قلبه من غضب وخوف، الا ان الدرع القوي الذي يرتديه كان منقذاً لهنري ،وقبل ان يعيد سكراجا الكرة .. انتزع هنري الرمح من درعه ورماه بقوة نحو سكراجا ليرديه قتيلاً .

تفرقت مجموعة الفتيات .. وركضن في شتى الاتجاهات، يتبعهن صدى صرخاتهن المرعوبة . وركض توالا نفسه وجاجول ليحتموا بقصرهم .. فصحت بالشيوخ ..

- «ايها الشيوخ .. لقد اعطيناكم الدليل .. وجاء دوركم ».

وصرخ انفادوس بهم «تعالوا.. الحقوا بنا »

غرق القمر في عتمة كثيفة ،ومثله الارض في ظلام دامس ويزغت النجوم لامعة وسط السماء ،أخذ جود فولاتا بين ذراعيه ·· وهربنا جميعاً عبر البوابة مستغلين حلول الظلام ،والهلع الذي سادهم ·

- 12 -

قبيل المعركة

سرنا لساعة أو أكثر ،حتى بزغ أخيراً منحنىً فضي حول أحدى حافات القمر ،وبدأ قرص القمر المضيء يتكشف شيئاً ·· فشيئاً ،ويتسرب ضوؤه الى الارض مبدداً العتمة· في حين خفتت أضواء النجوم التي كانت قد أزدادت لمعاناً وعدداً عند الخسوف ، وتسلقنا قمة مسطحة لاحدى التلال الكبيرة المطلة على مدينة «لو» ·· وبعودة ضوء القمر وبهائه شاهدنا آلافاً من المحاربين يعسكرون تحت التل ،كان انفادوس قد جمعهم بمعاونة الشيوخ الذين قرروا الثورة ضد الطاغية توالا ·

ووقف أجنوسي امامهم ملكاً حقيقياً يبحث عن عرشه،
وبعد ان حكى لهم قصته رفع أحد الشيوخ يده .. لتصدح
حناجرهم بالتحية الملكية « كوم .. كوم » ممزقة سكون الليل
وهدوءه المعرش فوق التلال .

ومن القمة العالية .. كنا نشاهد جيش توالا أيضاً ..
الذي يتجمع ويستعد في الجانب الآخر ،وقد خرج رُسل من
«لو» بأتجاهات شتى ليجلبوا مزيداً من الجنود والامدادات من
القبائل المجاورة لنجدة توالا كان لدينا 20 الف رجل .. بينما
يُقدر جيش توالا بأربعين الف رجل ،التحقنا بجيش انفادوس
الذي أخذ يعزز مواقعه طوال الليل واليوم اللاحق . أذ لم نم
سوى ساعتين نهضنا بعدها لنزحف عند شروق الشمس على
رأس جيش جرار يقوده انفادوس ،وكنا قد ارتدينا الدروع
التي أهدونا اياها، فيما أصر السير هنري على ان يرتدي لباس
مقاتلي الكوكوانا .

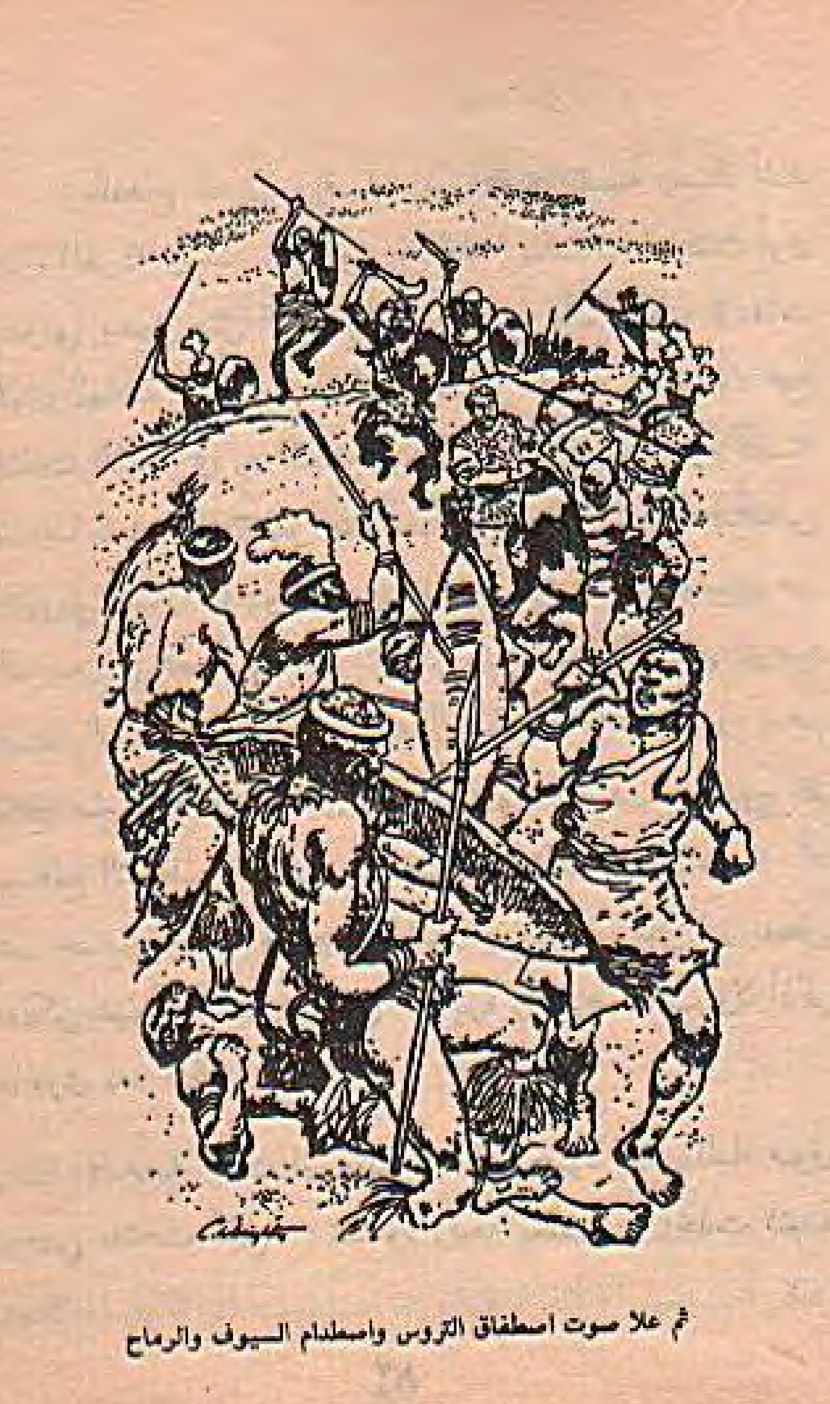
وعلّق حول رقبته جلد النمر الذي يلبسه قادتهم. وربط
حول رأسه أكليل ريش أسود ضخماً يرتديه قادة جيشهم.

وشد حول وسطه حزاماً رفيعاً من شعر ذيل الثور الابيض .
وحمل في يده اليمنى فأس قتالٍ حادةً وثقيلة ،وباليسرى
ترسه الحديدي المغطى بجلد الابقار الرمادي . وقد علق حوله
سكاكين الرمي الأضافية ،كما حمل بالأضافة الى ذلك بندقيته،
في حين حمل كلٌ منا رمحاً وترساً وزوجاً من السكاكين
الكبيرة .

وتجمع حول انفادوس مقاتلوه .. الرماديون وهم أشد
مقاتلي الكوكوانا بأساً. فيما خرج جيش توالا من المدينة في
خطوط طويلة منتظمة امتدت في اتجاهات ثلاثة ،الاول نحو
اليمين والآخر الى اليسار .. وتقدم الثالث نحونا ببطء شديد
قال انفادوس .

«سيهاجموننا من ثلاث جهات في آن واحد .. أستعدوا
ايها المقاتلون .. وعلموهم كيف يكون القتال» .

• • •



ثم علا صوت اصطفاق التروس واصطدام السيوف والرماح

- 13 -

الضربـــة

انطلقت صرخات مرعبة عن يميننا البعيد ،وأخرى من يسارنا وظهرت في نفس الوقت مجموعات تحاول تسلق التل نحونا .. ثم علا صوت اصطفاق التروس ،واصطدام السيوف والرماح وانطلقت السهام .. وتطاير في الفضاء مطر من السكاكين .. أذ بدأت المعركة ،وتقاتلت كتل الجنود الى الامام وفي الخلف ،تساقط عدد كبير من الرجال بسرعة كأوراق الاشجار في الخريف وبدأت خطوطنا الدفاعية بالتراجع ..

وبأندفاع شديد وإقدام رمى هنري نفسه وسط أشد أجزاء المعركة وتبعته مع جود ،فقاتلنا بأستماتة . كنت أرى أجنوسي يدور مثل النول وسط مجاميع مقاتليه . وبدأت القوى المهاجمة بالتراجع الى اسفل شيئاً فشيئاً، وكذلك نجح جناحنا الايسر في رد الهجوم ،وكنا نستعد للقيام بهجوم مضاد عندما شاهدنا تقهقر جناحنا الأيمن عبر السهل. فأعطى أجنوسي أشارة الهجوم ،ووجدنا انفسنا ضمن طوفان من المحاربين في هجوم ضار لا أتذكر منه سوى الصليل المرعب لضرب السيوف ،وأصطفاف التروس. وتحرّك رجل ضخم برمح مشرّع نحوي .. كان يتقدم نحوي بأندفاع اهوج فلم يستطع التوقف حين رميت بنفسي على الارض امامه .. أذ عثر بجسدي وسقط فعالجته بطلقة من مسدسي قبل ان ينهض ،ولكن شيئاً ما صدمني في مؤخرة رأسي فسقطت ولا أذكر ماجرى بعد ذلك .

عندما عدت الى وعي .. كان جود يلقي الماء فوق وجهي ،فتحت عينيّ .. غشاوة رقيقة تغلفها .. أخذت تتبدد

تدريجياً فسألني جود بقلق .

ـ «كيف تشعر الآن ؟ ! » .

ـ « بخير شكراً لك .. كيف انتهت المعركة ؟ ».

ـ « لقد نجحنا في دفعهم الى الخلف مؤقتاً ،ولكن الخسائر كانت فادحة ،حوالي الالفين من القتلى والجرحى من جانبنا، وما يزيد على الثلاثة آلاف منهم » .

نهضت وذهبت للبحث عن السير هنري ،كان غارقاً في محادثة جادة مع أجنوسي وانفادوس وبعض الشيوخ .

ـ « توالا .. لقد أستلم توالا امدادات جديدة من الجنود ياكوايترماين .. ونحن لانملك سوى القليل من الطعام وقد نفدت مياهنا » .

ـ « انا اعتقد ان توالا سينتظر حتى يهدنا الجوع » قال انفادوس ثم التفت نحوي « دعنا نسمع رأيك في هذا الموقف .. ».

قلت :ـ «في مثل تلك الحالة يجب علينا ان نهجم في الحال، قبل ان تُضعف قوانا وتنفد مئونتنا » .

فكر أجنوسي لبرهة ثم قال :ـ «سأضرب توالا هذا اليوم،

أسمعوني .. جيداً .. انظروا كيف ينحني التل من حولنا مثل هلال في منتصف الشهر ،وكيف يمتد السهل مثل اللسان الأخضر نحونا دون انحناء ».

« دع الرجال يأكلون جيداً ويرتاحون .. ثم تقدم ياانفادوس مع خيرة رجالك الى أسفل نحو اللسان الاخضر ، سيحشد توالا كل قوته لتحطيمكم ولكننا سنستغل ضيق المكان ،حيث لايستطيع ان يقاتل سوى جزء قليل من جيشه » .

وأستدار نحو هنري .. «سيرافقك صديقي ذو الفأس الكبيرة وسأقود انا المجموعة الثانية من المقاتلين التي ستتبعكم» ثم استدار نحوي «اما انت ياصديقي .. يامن تعرف كل شيء فستبقى معي .. وستقود الثلث الآخر من الرجال عبر الجانب الأيمن للتل، ويندفع الثلث الباقي، عبر الجانب الايسر وسنختار من سيقوده في لحظة الهجوم» ثم نظر الى جود «دعوا هذا الثلث تحت قيادة جود» لمعت عيناه حين تلفظ بتلك الكلمات معطياً لجود دفقة أكبر من الشجاعة والاقدام .

«وقبل حلول المساء .. سنقود قطعان الثيران البيضاء من جبل الى آخر حتى ندخل «لو» منتصرين .. حيث سنعيش بسلام».

• • •

- 14 -

الوقفة الأخيرة

توزعت مجاميع المقاتلين بهدوء ،الى اليمين والى اليسار، كنا بطيئين في حركتنا ،محاولين اخفاء انفسنا عن ابصار رجال توالا الحادة .. لقد طال انتظار الرماديين لمعركتهم الحاسمة .. حيث لم نشركهم في المعركة الاولى .. كانوا غير متعبين وينتظر منهم ان يكونوا القوة الضاربة التي ستحسم الموقف . وقف انفادوس امامهم ثم صرخ بهم مشيراً الى أجنوسي :

- «هذا هو ملككم الحقيقي ،فقاتلوا وضحوا من اجله» .

رفع أجنوسي فأسه الضخمة ٠٠ معلناً بدء الهجوم ٠٠ وسار الرماديون خلفه في تشكيلة من ثلاثة خطوط يضم كل منها الف رجل ٠

ارتبكوا لرؤية زحفنا المفاجىء وحاولوا لمّ شملهم ، وايقاف زحفنا٠

كنا قد وصلنا الى السهل الذي يتركزون فيه ،ووقفنا امام اللسان الأخضر حيث اخترنا للمعركة ان تكون ٠٠ وتوقفوا هم بالمقابل عندما شاهدوا ضيق الممر ٠٠ والجدران الصخرية العالية التي تحيطه من كل جانب ،كنت الح رجلاً طويل القامة ٠٠ يقف وسطهم «كان توالا نفسه» ويأمرهم بالتقدم ٠٠

فرحنا لاستدراجهم الى هذا المكان الضيق ،حيث نخفف من وطأة كثرتهم٠ حين اقتربوا الى مسافة ٤٠ متراً ،انهمر على رجالنا مطر من السكاكين الطائرة ،قفز الرماديون في الحال بأتجاههم برماح مشرعة مسنونة٠ والتقى الجيشان في معركة حامية الوطيس ٠٠ مخيفة ، حيث يسمع لاصطفاق التروس مع بعضها صوت أشبه بهزيم الرعد ،بدأ السهل يتموج ملتمعاً بشعاع

الرماح المنعكس ،وحركة الاجساد المحتشدة ٠ وفجأة أخذت الخطوط المهاجمة تتشتت ،أستطاع الرماديون المرور فوق جيش توالا كموجة بحرية ضخمة ،وانهزمت فلوله امام زحفهم ،ثم وقفوا يتجمعون بهدوء في انتظار الموجة القادمة ،استطعت حين ذاك ،ان المح السير هنري بلحيته الصفراء «الحمد لله فقد كان حياً» وتزاحمت نحونا كتل الاجساد في موجة ثانية، وزادت حركة الريش الابيض فوق رؤوسهم من الاحساس بهذا التماوج دارت ثانية رحى قتال عنيف ،طارت فيه الرماح والسهام واصطدمت السيوف والتروس ، بدا من المستحيل على الرماديين ان يظلوا متماسكين ،صامدين بوجه ذلك الهجوم الشرس ،وامام تلك الموجات من المحاربين الاشداء، والمتوحشين ٠٠ والغاضبين كان عدد القتلى مخيفاً اذ امتلأت الارض بالجثث ،ولم يعد هناك موطىء قدم يخلو منها ٠

وبين صرخات الجرحى ،واصطدام السيوف والتروس، سمعت صوت هنري العميق يعلو عبر هذا الضجيج، واستطعت أن أميزه يصول ويجول بينهم ٠٠ وراحت فأسه الضخمة تدور بين رؤوس الريش ٠

تمكن الرماديون من لَمّ شملهم ، فوقفوا كالطود بوجه الاعداء تتكسر عليه موجات الرماح والرجال الواحدة تلو الأخرى . وتبدد مثل سحابات الدخان بعد اطلاقة بندقية، تناثرت فلولهم عبر السهل .. كان منظرهم مضحكاً بأكاليل الريش البيضاء المتماوجة مع حركة الريح .. وريشهم المتطاير الذي غطى سماء المعركة صرخ الرماديون صرخة النصر ، ورفعوا رماحهم احتفاءً بذلك ،وفي غمرة فرحتهم بالنصر انتبهوا الى عددهم الذي اختصر من ثلاثة آلاف الى ستمائة مقاتل ،والى بعض فلول جيش توالا التي أرتدت نحوهم لتدور رحى المعركة من جديد .

صرخ أجنوسي «الآن حانت لحظة الحسم يارجال» ورفع فأسه معطياً أشارة الهجوم .. تقدمنا بعد ان طال انتظارنا ومراقبتنا للموقف .. ونحن نردد صيحات الحرب «الكوكوانية» ودخلنا المعركة مثل مياه نهر تصب في بحر متلاطم . وكل ماعلق بذاكرتي الآن هو تلك الصرخات الوحشية العميقة، وسيول الرماح المتساقطة التي ترى وسط برك وسحابات الدم الحمراء .. من يستطيع ان يصف كل ذلك .. لاأجد أمامي

سوى كلمة واحدة .. هي الهول .. الهول .. الهول حاول العدو مهاجمتنا وتمكنا من صد الهجوم مرة اخرى .. كنا نركن الى انفسنا وجروحنا في فترات هدوء قليلة ،ثم لايلبث ان يندلع القتال على يميننا تارة او في اليسار تارة أخرى .

والسهل يتاوج بحركة المقاتلين المتحاربين .. وتكافؤهم بالاسلحة والامكانيات .. ولكن أستطعنا أخذ عدونا بالمباغتة عبر قوة الاسناد التي دخلت المعركة في الوقت المناسب ،اذ تحدد في الدقائق الخمس اللاحقة مصير المعركة ،وهرب رجال توالا عبر السهل .. جارين أذيال الخيبة والهزيمة ، واندفعنا في غمرة الانتصار نطارد فلولهم .. صوب مدينة «لو» وصيحات النصر تزين أفواهنا ، دخلنا المدينة دون اية مقاومة ،كان توالا يجلس امام قصره حزيناً مهموماً ،وحيداً، لقد تركه كل أفراد حاشيته وحرسه ،عدا جاجول تلك الساحرة الشمطاء.

نهض من مكانه واتجه نحو اجنوسي قائلاً :

- « مرحباً ايها الملك .. أخيراً .. ربحت المعركة بمساعدة هؤلاء السحرة ،ولكنك تعرف قوانين الكوكوانا التي

لاتسمح بقتل رجل ذي دم ملكي دون قتـــال او مبارزة !» .

- « نعم .. اعرف ذلك ، واختر من ستبارزه » رد أجنوسي
سار توالا متثاقلاً ونظر الينا واحد تلو الآخر عبر عينه الوحيدة البشعة .. ثم وقف امام السير هنري وقال :

- «هل ستنهي مابدأته اليوم ، أم أدعوك جباناً» ،تصاعد الدم في وجنتي هنري وقال «انني على اتم الاستعداد لمبارزتك ياتوالا» .

ضحك توالا بخبث وتقدم نحوه .. ودار الرجلان أحدهما حول الآخر .. ثم رفعا فأسي قتالهما. وفجأة قفز هنري الى الامام .. وصوب فأسه نحو رأس توالا ،الذي تنحى جانباً .. كانت الضربة من القوة بمكان بحيث أختل توازن هنري فسارع توالا الى رمي فأسه وبكل مايملك من قوة نحوه ،اغمضت عيني وخلت ان الامر قد انتهى .

ولكن ، والحمد لله ،أستطاع هنري وبحركة سريعة ان يرفع ترسه ليصد الضربة ، التي شقت حافة الترس الحديدي وسقطت على كتفه الايسر .. وحال الدرع المتين الذي

يرتديه دون نفاذها . أستمر القتال ضارياً .. ومتكافئاً .. ضربة مقابل ضربة .. تصدها التروس .. او يتم تجنبها .. الى ان استطاع هنري أخيراً توجيه ضربته الحاسمة التي شقت ترس توالا وهشمت سلاسل درعه القوية ،فصرخ توالا متألماً وغاضباً ،وحاول توجيه ضربة قوية سقطت في مقبض فأس هنري ..

تطاير المقبض في الهواء .. جارحاً وجهه وسقط رأس الفأس .. ليصبح هنري اعزلاً .. رفع توالا سلاحه وصرخ صرخة وحشية ارتجت لها أرجاء المكان .. اغمضت عيني أثرها .. وعند فتحتها كان ترس هنري مرمياً على الارض .. الى جانبه كان هنري قد احكم لف ذراعيه حول خاصرة توالا بقوة. كان كل منهما يحاول ان يصرع الآخر .. وأستخدم توالا كل قوته لفك طوق هنري ،فرفع خصمه عن الارض .. ليتكوما معاً على الارض في ارتجاج مدوٍ .

أراد توالا ان يباغت هنري بفأسه .. فصرخ جود محذراً هنري الذي أمسك بيد توالا .. لقد كان قتالهما ضارياً أقرب الى قطط متوحشة. كانا يتنافسان بقوة وتكافؤ .. ويتدافعان ويتقلبان فوق بعضهما .. استطاع هنري ان يحرر نفسه من

قبضة توالا ‥ وفي لمح البصر نهض على قدميه وسيل من الدم يتدفق من جراحه ،فقز توالا ايضاً وسحب سكينه الضخمة ووجهها نحو هنري بقوة وغضب ‥ لكن سلاسل الدرع المتينة حالت دون تأثيرها ·

وحين حاول توالا الهجوم مرة أخرى ‥ وبتهور استغله هنري ليوجه ضربة من فأسه وبكلتا يديه ، ليطير رأس توالا من على كتفيه ‥ وتدحرج الرأس على الارض حتى استقر عند قدمَي أجنوسي مضرجاً بدمائه · لقد شعرت بأن الارض تدور تحتي ولثوانٍ بقي جسم توالا منتصباً ثم تكوم على الارض في سقطة مدوية ،وانفلتت القلادة الذهبية الملكية التي تزين عنقه شعر هنري بالتعب والانهاك وبثقل الجهد الذي بذله، فسقط على الارض مغمياً عليه ، حملناه الى داخل القصر ‥ كان المساء يوشك ان يسدل ستائره ،ليخفي قرص الشمس المتوهج ‥ توجه انفادوس نحو رأس توالا الملقى ،ونزع الجواهر الملكية منه ‥ ليقدمها الى أجنوسي بينما كانت آلاف الحناجر تهتف ‥

« عاش أجنوسي ‥ عاش الملك »

● ● ●

- 15 -

موضع الموت

أثخنتنا المعركة بالجراح · أذ كنت اعاني من ألم كبير اثقل رأسي ، وكان جود مصاباً بجرح سهم صغير في ساقه اليمنى وشوه جرح عميق على جانب الفم وجه هنري · وهكذا كنا جميعاً نرزح تحت ثقل جراحنا وانهاكنا ‥ في حين سهرت فولاتا الجميلة على تمريضنا وخدمتنا ‥ وظلت تعنى بنا طيلة ايام نقاهتنا القليلة ·

وطلبنا من أجنوسي بعد نجاح مسعاه ،ان يأذن لنا لمواصلة مسعانا ومهمتنا في البحث عن كنوز الملك سليمان فقال : ـ

ـ «ياصدقائي .. ان هذا سر لاتعرفه سوى جاجول ! كما ان في تلك الارض ثلاثة من آلهتنا المقدسة .. وقد دفن جميع ملوكنا .. وأخشى حين تدخلوا كهف الكنز .. ان تواجهوا موضع الموت المخفي في غرفة الكنز ،دعوا تلك المغامرة المهلكة وعيشوا معنا هنا معززين مكرمين » .

لكنه أصطدم بجدار اصرارنا على مواصلة المغامرة ،فأرسل في طلب جاجول التي تكومت على الارض امامنا مثل كومة من خرق ملابس قديمة ، قال لها :

ـ اسمعي ايتها العجوز الشمطاء ، ستدلينا على الغرفة السرية حيث الاحجار اللامعة ».

ضحكت وقالت :

ـ « لن ادلكم ابداً !! ».

ـ « اذا رفضت .. ستعذبك .. وستموتين ببطء » .

ـ «أموت» صرخت بفزع وغضب «كم هو عمري حسب اعتقادك ؟

انا اعرف آباءك .. وآباء .. آباء آبائك . عندما كانت تلك البلاد صغيرة .. وسكانها يُعدون بالاصابع ،كنت أعيش هنا ،انت لاتستطيع ان تمسني» .

ـ « سأقتلك وكل أشباهك ايتها العجوز الشمطاء ».

رفع أجنوسي رمحه ببطء شديد ، وسدده الى جسدها حتى اصبح ملامساً لجسدها . صرخت بصوت حاد وقفزت على قدميها .

ـ «سأدلك .. سأدلك .. ولكن دعني أعيش » .

بعد ثلاثة أيام كنا نتسلق الجبال في نهاية طريق الملك سليمان نحن الثلاثة برفقة انفادوس وفولاتا ،وبقيادة جاجول . كان الطريق يدور حول حفرة كبيرة مستديرة يبلغ قطرها حوالي كيلو متر ،فقلت .

ـ «لتكونوا على علم .. ان الجواهر من حصتي ! ».

فوجئنا بثلاث صخور ضخمة نحتت على حوافها أشكالاً

ضخمة تمثل آلهة الكوكوانا .. او الثلاثة الصامتون كما يسمونهم كانوا عبارة عن أشكال بشرية عملاقة نحتت في الصخر يبلغ طول كل منها حوالي 15 متراً .. والى الخلف منها ارتفع حائط حجري لمسافة 25 متراً أو أكثر نحو الخط الثلجي .

خطت جاجول نحو الرؤوس المنحوته ،ووقفت قرب فتحة في الجدار الصخري الضخم ،أستدارت ،تعلو وجهها ابتسامة شيطانية وقالت :ـ

ـ « والآن .. ايها الرجال من النجوم .. هل انتم جاهزون ؟ وانت يأنفادوس .. هل انت مستعد ؟» .

أجاب انفادوس مذعوراً :ـ «كلا .. لايمكن ان أدخل الى هناك !» .

ضحكت جاجول .. وأضاءت فانوساً صغيراً .. لتدلف بسرعة في ممر ضيق مظلم. سرنا خلفها لدقائق .. ثم وجدنا انفسنا وسط كهف كبير لم ار له مثيلاً في حياتي . كان سقفه يرتفع الى ثلاثين متراً فوقنا .. وقد خفت من انهياره أذ لم يكن لدينا متسع من الوقت لاختبار صلابته .. ولا يمكن ان نثق

بتلك الساحرة الخبيثة ونأمن لها جانباً .

أسرعت جاجول الى نهاية الكهف .. لتلج عبر باب يقود الى ممر آخر تقع في نهايته غرفة نحتت وسط الصخر .

في البدء .. أستطعت ان ألمح وسط الظلام المتكاثف منضدة حجرية ضخمة ،أحاطت بها أشكال بيضاء أقرب الى نماذج بشرية ،انتبهت الى شيء بني يقبع وسط تلك المنضدة . بدأت عيناي تعتاد ضوء المكان الواهن فأخذت اتنقل بين الاماكن بسرعة ، أمسك هنري بي موقفاً اندفاعي نحو حفرة مهولة .. فيما رمت فولاتا ذراعيها حول عنق جود وصرخت مرعوبة .. كانت جاجول تطلق ضحكاتها الشريرة الطويلة .. والتي دوت في ارجاء المكان .. ثم اتجهت نحو هنري وتمسكت بردائه بمخالبها :

ـ «تعال .. وانظر من قتلت !»

وأشارت الى الشيء البني القابع فوق المنضدة لم يتمالك هنري اعصابه فصرخ مصدوماً برؤية جسد توالا فوق تلك المنضدة وقد استقر رأسه المقطوع على ركبتيه .



وحول الجسد الاسود ، بدأ غطاء زجاجي رفيع بالظهور
كانت قطرات الماء تتساقط بأنتظام من السقف الحجري
فتسيل حول عنق الجسد الميت ثم تجري ببطء فوق
مرتفعات الجسد وانخفاضاته .. ثم تجمد تاركة طبقة خفيفة
حوله أقرب الى الغطاء الزجاجي .. والفائض من تلك المياه
يتسرب الى الصخور عبر ثقب صغير في المنضدة .

حين ذاك ادركت سر تكون هذا الغطاء الزجاجي
حول جسد تووالا هو نتيجة لتغير في طبيعة الصخور .
وتساقط تلك المياه الكلسية منها .
وعرفت ان الاشكال البيضاء المتموضعة حول المنضدة ،هي
أجساد بشرية ايضاً ، أو على الاقل كانت كذلك وهي الآن
محض حجارة .

وبتلك الطريقة كان ناس الكوكوانا يحفظون أجساد ملوكهم
الميتين ، حيث يحنطون الى أبد الدهر ضمن تلك الاغطية
المتجمدة من الصخر السائل .

● ● ●

- 16 -

غرفة الكنز

كنا نحاول التغلب على خوفنا ... والظهور بمظهر المتالكين لأنفسنا . انسابت جاجول مثل حية لتقبل شفاه توالا المتجمدة .. التفت نحوها .

- « والآن ياجاجول ،خذينا الى غرفة الكنز » .
- «وهل ان السادة غير خائفين ؟» قالت ذلك وابتسامة صفراء تعلو شفتيها فصحت بها آمراً :-
- « خذينا » .
- « طيب .. طيب .. ايها السادة » . ناولتني الفانوس

وانطلقت أمامنا بخفة، وسرنا خلفها نتكىء على جدران الكهف الصخرية . كانت الرؤية صعبة تماماً .. أذ لم نستطع رؤية اي شيء سوى الجدار الحجري .. سمعت صريراً امامي فرفعت الفانوس .. ثمة كتلة حجرية ترتفع ببطء عن الارض ثم تختفي في السقف المقابل . وانفتح باب حجري ضخم خمنت وزنه بما لايقل عن 120 او 130 طن وتحرك هذا الباب بدقة كبيرة عبر نوع من الموازنة ،بين نسب الطول والعرض والوزن . أنبهرنا لرؤية هذا المشهد .. ولم نستطع رؤية تلك العجوز الشمطاء جاجول وهي تضغط زراً ما في الجدار .

- « أدخلوا أذا رغبتم أيها الرجال القادمين من النجوم » قالت جاجول بخبث «ولكن أعرفوا ان الموت يسبقكم الى هذا المكان .. هناك شخص واحد فقط أستطاع ان يكتشف هذا المكان قبلكم ،كان رجلاً ابيض من الجبال» ،فقلت لها
- «نعم .. وماالذي حدث لدا سيلفيسترا بعد ذلك ؟».



قفزت المرأة العجوز مندهشة :

- «وكيف عرفت أسمه ؟»

لم يستطع جود تحمل الموقف الى أخره فصرخ :

- «أنا لا أخاف من تلك الشيطانة العجوز» وأندفع عبر البوابة ،تبعتـه غولاتـا وتشبثت بيـديـه مرعوبـة، وصرخت بأنها لاتستطيع الـذهـاب ابعـد من ذلـك ،وترجوه عدم الـذهـاب ·· لم يأبه جـود لتوسـلاتها ،فجلست على الارض قـانطـة وهي ترتجف هلعـاً · مررنـا الى الجانب الآخر ·· حيث لحنا في عمق الغرفة الحجرية ثلاثة صناديق حجرية كان أحدها مفتوحاً ·· فهمست فرحاً ·

- «نحن الآن أغنى رجال في العالم !!»

- «أصبحنا اغنياء !» قال جود ·· ضحكت جاجول وواصلت قفزاتها في ارجاء المكان أشبه بقطة ، صرخت ·

- «افتحوا بقية الصناديق أيها الرجـال ،وخـذوا من الاحجـار اللامعة ماتشـاؤون !!» · فتحنـا الصنـدوقين الآخرين · كان الاول ممتلئاً الى أخره ،امـا الثـاني الى ربعـه فقـط

،ولكن لمعت وسطه أحدى الاحجار الكريمة الضخمة ، لم ارَ لها مثيلاً كان حجمها بقدر حجم بيضة كبيرة . شغلتنا الفرحة الغامرة لأكتشاف الجواهر عن ملاحظة اختفاء جاجول . حتى صاحت فولاتا من الغرفة المجاورة :

- «ايها السادة .. لقد خدعتم ان الاحجار كاذبة» ثم علا صوت عراك .
- «ابتعدي عني ايتها الفتاة !!» .
- «النجدة .. النجدة !» .

ركضنا الى الغرفة المجاورة .. كنت احمل الفانوس في يدي، وسبقتهم الى مصدر الصوت ،كان الباب الحجري الضخم يوشك ان يغلق . وبالقرب منه التحمت فولاتا وجاجول في شجار عنيف . كان الدم يضمخ ملابس فولاتا وهي تمسك بأصرار بتلك المرأة العجوز التي تقاتل مثل قطة برية شرسة تحاول ان تخلص نفسها من قبضة فولاتا. سقطت فولاتا وهي تحاول التشبث بجاجول ،التي تملصت من قبضتها ورمت نفسها صوب الباب .. ولكن كانت محاولتها متأخرة جداً .. فسقطت فوق الصخور التي تدور الباب ،لفتها في دورانها مثل

طاحونة حجرية .. صرخت بصوت ينم عن ألم فظيع ،ثم أخذ جسدها الضئيل يغطس شيئاً فشيئاً ،فيما توالت صرخاتها الواحدة تلو الأخرى .. حتى اطلقت أخيراً صرخة طويلة مدّوية ظل صداها يتردد في أرجاء الكهف .

كارا ـ بلنك .. وانغلق الباب .

التفتنا الى فولاتا .. لقد أمتلأ جسدها بجراح خطيرة وهمست بصعوبة بالغة :

- «انني أموت» ، ركع جود على ركبتيه الى جانبها ، دون ان يفهم الكلمات التي ترددها .. بل استجابي الى هذا الشعور الغريب .. والرجاء المنبعث من عينيها . قالت لي :
- «قل له انني أحببته ،منذ ان رأيته ،لقد كان طائراً سعيداً أنقذ حياتي ،الآن لاأستطيع ان ارفع يدي .. وقد بدأ دماغي يبرد .. ولكني لاأشعر بأن قلبي يموت بل انه ممتلىء بالحب .. ويمكنني ان اعيش به عشرة آلاف عام .. واظل شابة وأذا قدر لي ان اعيش ثانية .. فانني سأراه في النجوم .. بالتأكيد سأراه .. قل له ذلك .. قل له انني . . . . !!»

وصمتت ،فشعرت بثقل الصمت والسكون وقساوته بينما همس جود «لقد ماتت .. لقد ماتت» وأنحدرت دموع ساخنة بللت وجهه النحيف فقلت له مواسياً :

- «لاتؤذِ نفسك كثيراً ايها الصديق» .

فصرخ - «آه .. ماالذي تعنيه ؟»

- «اعني .. انك ستلتقي بها قريباً اليس كذلك ؟ لاننا قد دفنا هنا أحياء !! ».

ارتفعت ذبالة الفانوس باعثة في المكان ضوءً ساطعاً أستطعنا من خلاله ان نرى كل تفاصيل المكان بوضوح .. الصناديق .. جسد المسكينة فولاتا ، الجواهر اللامعة ، ووجوهنا الوحشية اليائسة .. نحن رجال ميتون لامحالة ، أنطفأ اللهب أخيراً . . . وماتت فولاتا .

• • •

- 17 -

وفقدنا الامل

لا أستطيع وصف الرعب الذي أنتابنا تلك الليلة ،والذي زاد السكون المخيف المرش في أرجاء المكان من تأثيرة . لم يكن بأستطاعتنا النوم أذ كنا نشعر بوجود حركة فوقنا بأستمرار .. لقد دُفنا في قلب غطاء جليدي ضخم فوق تلك الجبال .. وعلى مسافة مئات الامتار فوقنا .. كان الهواء النقي يضرب الثلج الابيض ولكن دون ان تصلنا أصواته .. كنا منقطعين عن العالم ،رجال دفنوا في قبورهم وهم أحياء .. وحولنا من الكنوز مايكفي لشراء كل خيرات الارض ،كنا

على استعـداد لان نهبها كلها لمن يعطينـا بـارقـة أمـل صغيرة بالنجاة ·· بالهروب من هذا الغيهب المرعب ·

جلسنا في الظلام ·· ننتظر الموت · فكرت

- «كيف يمكن للهـواء في ذلـك المكان المغلـق ان يكـون نقيـا ويتنفسـه ·· صحيـح انـه ثقيـل وكثيف ولكنـه نقي تماماً !!»·

قفز جود من مكانه قائلاً :

- «انا لم افكر في ذلك · لابد للهواء من فتحة ينفذ منها · ولا يمكن ان تكون الباب الحجري لانـه محكم السـد ،دعونـا نلقي نظرة في أرجاء المكان عسى ان نكتشفها ·

ولسـاعـة أو أكثر أخـذنـا نتحسس جـدران الكهف ونبحث في أرجائه · هدّنـا التعب واليـأس ، فتوقفنـا عن البحث انا وهنري ،فيما أستمر جود في بحثه بمثـابرة وانـدفـاع ·· وصرخ بعد فترة قصيرة :

- « كواتيرماين ،ضع يـدك هنـا على الارض ·· هل تشعر بأي شيء ·

- نعم ·· اعتقد ان هناك تيار هواء بارد» ·

لفتنا فرحة غامرة امام بارقة الأمل تلك ·· وأخـذنـا نتحسس الحجـارة في هـذا المكان ·· وحتى وجـدت اصـابعنـا أخيراً ·· حلقة حديـدية تتوضع في صخور الارضيـة الصلبـة · حـاول جود استخراجها بسكينه ·· ثم أمسكها بكلتا يـديـه ليسحبها بكل مـايملـك من قـوة ·· ولكن دون جـدوى اذ لم تتزحـزح الصخرة قيد شعرة · قلت له :

- « دعني أحاول » ·

سحبتها مستعملاً كل قـواي ·· ولكن بـلا فـائـدة قـال جود :

- «هنري ·· انك أقوانا ·· وقوتـك تعـادل قوة رجلين أشداء ·· تعـال ·· أنـا وانت يـاكـواتيرمـاين سنمسـك بهنري من وسطه ونسحبه بكل ماتملك من قوة عسى ان ننجح» ·

أمسك هنري بالحلقة بشدة ·· ثم سحبها بكل قواه ·· وسحبنـا نحن أثره ·· قال «اسحبا ·· اسحبا انها تتزحزح » ·

سمعنـا صوت حركـة الصخـور وتفتت الحجـارة ،ثم لفح تيـار هواء قوي وجوهنا ،فأنقلبنـا جميعاً الى الخلف تحت تـأثير قوة

الشد وسقطت الكتلة الحجرية الضخمة المخلوعة امامنا .

أستعدنا ثقتنا بأنفسنا وحاولنا أختبار ارضية الفتحة بأصابعنا .. تحسست كتلـة حجريـة كانت أقرب الى درجـة سلم حجري .

- « والآن .. مالذي سنفعله ؟ ».. قال جود « أيّ مجهول ينتظرنا » .

قال هنري :- ننزل السلم بالطبع .. عسى ان نجد منفذاً ».
عدت الى الصناديق بسرعة ،وملأت جيوب بنطالي ومعطفي بالجواهر والذهب من الصندوق الاول .. ثم أخذت قليلاً من الاحجار الكريمة من الصندوق الثالث وصحت بهم :

- «انتم تنزلون .. الا تريدون ان تأخذوا بعض الجواهر معكم ؟ »..

- «تعال ياكواتيرماين .. فكر بنجاتك .. انني آمل ان لا أرى تلك الجواهر اللعينة مرة أخرى !!».. قال هنري وضعت عدداً آخر من الجواهر في سلة طعام فولاتا الفارغة وأسرعت للحاق بالأخرين. قال هنري «سأذهب امامكم» ثم توقف عند

الدرجة الخامسة عشرة وقال «هنا القعر ، واعتقد ان هناك ممراً .. أتبعوني» .

يقع القعر عند نهاية السلم حيث يمتد منه نفقان أحدهما يتجه الى اليمين والآخر الى اليسار .. كان من الاستحالة بمكان معرفة او حتى توقع مالذي تحتويه تلك الانفاق المجهولة، واي مصير تخبئه لنا ،ولا الى اين يمكن ان تقودنا ؟
أحدهما يمكن ان يقودنا الى النجاة .. والآخر الى الهلاك ولكن ايها ؟ ذلك هو السؤال ، قال جود :

- «أشعر بحركة خفيفة للهواء تهب من اليمين الى اليسار .. دعونا نذهب عكس اتجاهها. ان الهواء يهب من الخارج الى الداخل وليس العكس !» .

لذا سارعنا للانطلاق نحو اليمين ، أخذنا نتحسس جدران النفق بأيدينا ، ونختبر صلابة الأرضية قبل كل خطوة نخطوها. وبعد مسيرة ربع ساعة تقريباً ، انعطف الممر انعطافة حادة ليلتقي بممر آخر .. تفرع عن اتصالهما ممر ثالث ، سرنا فيه لبضعة ساعات .. دون ان تلوح اية بارقة



للأمل ٠

كنــا نسير في انفــاق كنز قــديم أقرب الى ممرات هرم فرعــوني غامض ٠ قررنا التوقف بعــد ان انهكنــا التعب والجوع ٠٠ وان نستريح برهة نستعيد فيها قوانا ٠

اعتقدت انني قد سمعت صوتاً مــا ٠ كان صوتــاً واطئــاً وبعيــداً جداً أقرب الى الهمس ٠٠ قال جود :

ـ « انه خرير مياه ٠٠ تعالو ورائي »٠

سرنــا ثــانيــة ،نتحسس طريقنــا وسـط تلــك الجــدران الصخرية الموحشة ٠ كنت متعباً وخائفاً الى الدرجة التي أفلت فيها السلة الممتلئة بالجواهر ٠٠ بدا لي وزنها ثقيلاً جداً لكني لم أستطع تركهــا رغم ذلــك ٠ فكرت من الافضل ان تموت غنيــاً على ان تمــوت فقيراً٠ الآن كان بــأمكاننــا سماع خرير الميــاه بوضوح تام لايشك فيه ٠٠ قال هنري ٠

ـ انتبه الى طريقــك يــاجود ،يجب ان تكون قريبــاً منــا !»٠

وكأنه تنبأ بما حــدث ،اذ لم نسمع بعــد تلــك الكلمــات سوى صدى صرخة جود ٠



كنا نسير في أنفاق كنز قديم

- «اين انت ياجود ؟» صرخنا جميعاً

- «انني بخير .. لقد أمسكت بالصخور .. ولولاها لكان موتي محققاً ».

فأتجهنا نحو مصدر الصوت في الظلام الدامس بحذر شديد ، أستطعنا ان نلمح جود معلقاً في الصخور وسط حفرة عميقة بدت كفم مفتوح للعتمة يبتلع كل شيء ، مد هنري يده لجود الذي أطبق عليها بقوة. وقمنا جميعاً بسحبه .

- «كنت محظوظاً جداً ،لوجود تلك الصخور هناك حيث كان تيار المياه سريعاً جداً ، لم أستطع أن أحدد عمق قعره .. ولكني اظن انه مجرى عميق جداً..». قال جود ذلك بعد ان استرد قواه .. قررنا ان نقفل راجعين عبر النفق الطويل حتى نصل الى نقطة البداية .. الى نقطة التقاء الممرات ثانية .. حيث سلكنا الممر الأيمن هذه المرة ،أشار هنري :

- «لنجرب هذا الطريق .. ليس لدينا اي شيء لنخسره .. كل الطرق متشابهة هنا ،ولا نملك سوى ان نتقدم. قد

نسقط في حفرة او نضيع .. ولكن ذلك افضل من انتظار موتنا ببطء .. ».

كان الممر يطول .. ويطول .. ونحن نحاول التغلب على تعبنا ومواصلة السير ،فكرت مرة أخرى في التخلص من السلة الثقيلة التي اثقلت كاهلي ،توقف هنري فجأة فأصطدمت به . همس في أذني :

- «انظر امامك .. هل انا أتخيل ذلك أم ان هناك ضوء».

نظرنا جميعاً بصعوبة .. لاحت في البعد نقطة لامعة صغيرة بعثت في قلوبنا أملاً جديداً ، دفعنا للأسراع في التقدم ،وخلال دقائق قليلة .. لم نصدق ماأحسسنا به ، اذ واجهنا هواء نقياً ،ولفحتنا برودته في وجوهنا .. فحثثنا الخطى فرحين .. أخذ النفق فجأة يضيق .. وبدأنا نزحف على ركبنا ،كان الممر يتزايد في ضيقه ،ولم تعد هناك ارض صخرية، أذ كنا نزحف على ارض ترابية هشة .

لم نصدق ماتراه اعيننا ،كانت فوقنا سماء فسيحة وقمر

ونجوم . أخذنا نطلق صرخات مجنونة .. ونرقص فرحاً.
أخذتُ ارمي سلة الجواهر واتلقفها ، دون ان آبه بالجواهر
المتساقطة . وكان هنري يقفز ويؤدي حركات مضحكة. كان
إبتهاجنا لايوصف بتنفس الهواء النقي الحلو لأول مرة .

بعد تلك الفرحة الغامرة .. قررنا ان نواصل رحلتنا
،ونبتعد عن هذا المكان بسرعة ،درنا عدة دورات عبر ممرات
ملتوية متشابكة وسط الصخور .. او بين الحشائش والادغال
المتكائفة احياناً كانت اقدامنا تغطس في تربة رطبة طرية .
ووصلنا أخيراً أرضاً مستوية .. لم نكن نصدق نجاتنا كنا كمن
يرى الاشياء لأول مرة ،او بعد غيبوبة طويلة .. نرقص
ونهلل لابسط الاشياء .. أذ كان منظر عشبة نامية يملأنا
فرحاً وابتهاجاً .

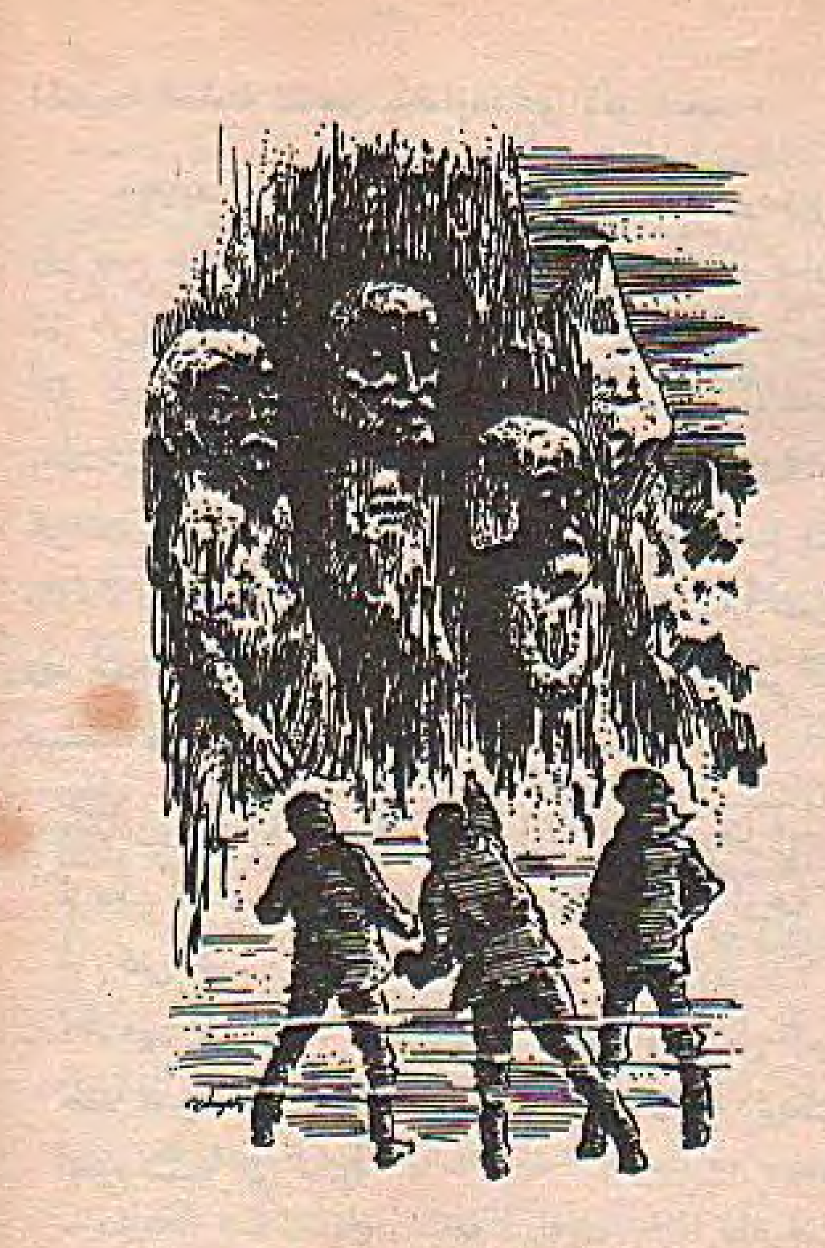
كان الفجر يعطي لمنظر الجبال البعيدة حمرة وردية
،سرعان ماغزاها ضوء رمادي سقط على جانب التل ..
فأكتشفنا مع انبلاج ضوء النهار بأننا نقبع في قعر حفرة
موحشة ،تقع امام مدخل الكهف ، وفوقنا آلهة الكوكوانا

الحجرية الصامتة تشخص بأبصارها نحو الافق البعيد .

وبتزايد الضوء .. استطعنا ان نحدد موقعنا بوضوح ..
وان نلمح حافات الوادي العميق الذي تقبع وسطه ، حاولنا
شق طريق نتسلق منه في أحد جوانبه الحادة . ولساعة او
أكثر كنا نجر انفسنا الى الاعلى بمساعدة جذور الاشجار
والحشائش النامية ، أو نمسك بحافات الصخور الناتئة حتى
تجرحت راحات ايدينا .. وصلنا الى طريق واسع يمتد
بالاتجاه المعاكس للالهة الصامتة ،وفي البعد لمحنا ناراً مضرمة
وقد تجمع حولها مجموعة من الناس ،وقف احدهم ينظر الينا
مستغرباً وهلعاً .. انه انفادوس .. صحت به ،

- «انفادوس .. انفادوس نحن أصدقاؤك .. ألا تعرفنا ؟».
لم يكن انفادوس يصدق عينيه .. فوقف متردداً لبرهة ..
ثم ركض نحونا .
- « آه ايها الاصدقاء .. لاأصدق .. لقد عدتم من الموت
حقاً !» وأخذ يعانقنا واحداً .. واحداً .. ودموع
الفرح تسيل على خديه .

• • •



وفوقنا آلهة الكوكوانا الحجرية الصامته

- 18 -

وداعاً ياأجنوسي

بعد مرور يومين على عودتنا .. ذهبنا ثانية الى مكان الموت يحدونا أمل كبير في الحصول على بقية الكنوز ،لكننا لم نستطع كشف سر الباب الحجري ،فقفلنا راجعين .

حاول أجنوسي أقناعنا بالبقاء معه في ارض الكوكوانا .. وضعت يدي على كتفه وقلت له :

- «ياأجنوسي .. عندما عشت في الغربة في مدينة ناتال الم يحن قلبك الى اهلك ووطنك ؟ ».
- « نعم .. لقد أشتقت لهم كثيراً » .

- « نحن كذلك .. قلوبنا مشتاقة الى اهلنا ووطننا ،وتتحرق شوقاً للعودة » .
- « والله .. انكم على حق .. ان حججكم مقنعة . ياإنفادوس خذ معك عدداً من الحرس ،ورافق اصدقاءنا في رحلتهم عبر الجبال» . ثم أستدار نحونا :
- «وداعاً ياأخوتي .. ستتذكركم دوماً هنا ،رافقتكم السلامة أذهبوا الآن ،بينما تتساقط الدموع من عيني مثل النساء ،عندما أتذكركم واتذكر الحياة الجميلة التي عشناها ، وعندما ستصلون الى بلادكم ستتذكرون ايضاً كيف وقفنا كتفاً الى كتف في معركة عظيمة ،سنظل نتذكرها هنا الى الابد» .

ودعناه .. والاسى يملأ نفوسنا لفراقه .. وذهبنا في صمت .. اوصلنا انفادوس عبر طريق قصير بين الجبال .. ثم أشار الى الصحراء .

- « سافروا في هذا الاتجاه ايها السادة ثمة اماكن كثيرة تتوفر فيها الاشجار والمياه العذبة » .

«وداعاً .. ان عيني المتعبتين ،لن ترى رجالاً مثلكم

ثانية » .

تأثر جود بهذا الوداع الحزين .. وأحب ان يقدم لأنفادوس هدية تعبيراً عن حبنا ووفائنا له ،فلم يجد امامه سوى عدسة عينه الأضافية يقدمها له .

في منتصف ظهيرة اليوم الثاني رحلتنا لحنا واحة وارفة الظلال .. أسترحنا فيها .. وقبيل الغروب بساعة ،كنا نسير على العشب ثانية ، ونستمع الى صوت خرير المياه .. يا للسعادة !!.

• • •

ـ 19 ـ

الاكتشاف

والآن بعد كل الذي جرى لنا من عجائب وغرائب ·· نأتي الى الجزء الأغرب من مغامرتنا ·· أذ لاح على بعد امتار قليلة عنا كوخ صغير ·· أحتمى بظل الاشجار والحشائش المتكاثفة على ضفاف جدول صغير ،في تلك الواحة · وفي باب الكوخ ، وقف رجل ابيض ذو لحية سوداء كثة ،ويرتدي جلود الحيوانات مثل لباس قبائل الزولو· صرخ هذا الرجل لمرآنا ·· وحاول الجري بأتجاهنا ، لكنه لم يفلح فسقط على الارض ·· سارع السير هنري اليه وهو يصرخ فرحاً ،

ـ « اخي ·· أخي جورج » ·

لم نكن نصّدق انه بعد كل تلك المغامرات والاحداث الجسام التي مرت بنا ·· وبعد كل هذا البحث المضني ·· حيث فقدنا الأمل تماماً بالعثور عليه ،ويمكن ان تقودنا الصدفة اليه ·

عند سماع لغطنا ·· خرج رجل آخر من الكوخ حاملاً بندقيته ، عندما رآني ·· اتجه نحوي وقال :

ـ « سيد كوايترماين ،الا تعرفني انا جيم الصياد ·· هل تذكر الرسالة التي أعطيتني اياها» ·

وعانقني بسعادة ،قال السير هنري لأخيه :

ـ «لقد طال غيابك ·· حتى اعتقدت انك ميت !» ·

أجاب الأخ : «لقد حاولت عبور الجبال ·· والوصول الى الكنوز منذ سنتين مضت ،ولكن وقعت صخرة ضخمة على رجلي ·· منعتني عن مواصلة الرحلة ، ومنذ ذلك اليوم وانا غير قادر على الحركة دون تلك العكازات !» ·

ـ « لايهم ·· الحمد لله على سلامتك » قال هنري :



وحاول الجري باتجاهنا لكنه سقط على الارض

ضحك السير هنري حين أريته الجواهر التي في السلة وقال :

- «انها تعود لكما انت وجود .. اليس ذلك ماااتفقنا عليه ؟» ..

فكرت في ذلك لبرهة ثم قلت للسير هنري :

- «لقد اتفقنا انا و جود على ان يكون لك ثلث الحصة من الجواهر ،فأذا رفضتها آلت الى أخيك ،لقد عانى كثيراً في البحث عنها » .

وافق السير هنري في النهاية وبعد الحاحنا. والى هنا تنتهي مغامرتنا بكل أحداثها ومغامراتها المرّة والحلوة .

بعد ستة اشهر من عودتي الى بيتي في دوربان .. بدأت أكتب هذه السطور .. ومن خلالها أعيد تذكر اصدقائي في تلك المغامرة الرائعة .. وأيامنا العصيبة التي عشناها .

ولكن في احد الايام طرق طارق بابي .. كان يحمل معه رسالة من السير هنري ..

« نريدك ان تعود الى وطنك ياصديقي القديم العزيز .. وتعيش بين ظهرانينا .. حيث نشتري لك منزلاً قريباً .

خاصة وانك تملك مالاً كثيراً الآن. أرجوك ان تأتي ،وأتمنى ان يكون ذلك سريعاً. حيث تستطيع اكمال كتابة مغامرتك ،في طريقك خلال الرحلة البحرية ،لقد قررنا عدم حكاية تلك القصة حتى تنتهي من كتابتها .

وداعاً ياصديقي القديم العزيز ..

لاأستطيع ان أقول أكثر من ذلك .. ولكني اعرف انك ستأتي ..» .

كان اليوم هو الثلاثاء .. حجزت بطاقة سفر وقررت ان أبحر على متن سفينة ستغادر يوم الجمعة. لقد كان هنري محقاً .. فهذه القصة عمل لا أستطيع تركه لأي كان ..

تمت